

"الكتاب الحائز على جائزة جابرييل جارسيا ماركيز لمنطقة أمريكا اللاتينية 2015"



اعترافات مؤجلة ماجيبلا بودوين

ترجمة: شرقاوي حافظ



قصص قصيرة مترجمة



اعترافات مؤجلة

اعترافات مؤجلة

تأليف: ماجيلا بودوين

ترجمة: شرقاوي حافظ

تحرير: إيزيس عاشور

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

الطبعة الأولى: أكتوبر 2019

رقم الإيداع: 2019/15337

الترقيم الدولي: 9789773195083

تصميم الغلاف: إسلام علام

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg



© Magela Baudoin

c/o Schavelzon Graham Agencia Literaria

www.schavelzongraham.com

First published as *La composición de la sal* in 2014

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا



@alarabipd

ماجىلا بودوون

اعترافات مؤجلة

مجموعة قصصية من بوليفيا

ترجمة: شرقاوي حافظ



بطاقة فهرسة

بودوين، ماجيلا

اعترافات مؤجلة: مجموعة قصصية / تأليف ماجيلا بودوين؛ ترجمة شرقاوي حافظ.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2019.

ص: سم.

تدمك 9789773195083

1- القصص الإسبانية

أ- حافظ، شرقاوي (مترجم)

ب- العنوان 863

إلى أبي، لأنني معه
أصبحت في السادسة من عمري مرة أخرى؛
ست سنوات من الخلاص المجيد.
وإلى "سيرجيوت." وتوافقته غير الكامل معي.

اعترافاتٌ مُوجَّلةٌ

قصصٌ قصيرةٌ لـ"ماجىلا بودوين"

تصنيف الأنواع الأدبية ما هو إلا اتفاق فرضه الأكاديميون والناشرون، على الرغم من أننا كقُرَّاء نعلم أن هذه الأنواع تعكس حقيقةً أدبيةً بديهيةً؛ وهي أننا حين نقرأ قصَّة قصيرة نُدرك أننا لا نقرأ رواية. وتكمن الصُّعوبة في تحديد هذه التَّصنيفات الأدبية المتَّفِق عليها.

تُعتبر القصَّة القصيرة نوعًا غامضًا، وربما أكثر من الرواية، ومن المقال. فهي أقل تنميًّا من الرواية، وأقل رسميةً من المقال، من حيث دورانها حول واقعة بعينها مع تركيزها على حدث واحد، أو شخصية واحدة. فهي تُشير إلى السُّلسل الهرمي الأنيق لفن الحكاية الرِّمزية، أو النوادر. إنها قصيرة، نعم، ولكنها تهدف إلى تصوير أو احتواء عالم بأكمله.

ومن المؤكَّد أن القصص القصيرة لـ"ماجىلا بودوين" مختلفة؛ فمن خلال المُشاهدة الدقيقة، تكشف أسرارًا، وتُشير إلى أشياء أكبر من القضايا التي تطرحها. وعلى الرغم من أن "بودوين" تبدو أنها تعرض لنا قصصها بصراحة واضحة، فإننا نستشعر، نحن القُرَّاء، كتمانًا عميقًا وراء

كلماتها، ودوافع مُقَيَّدة، وأسبابًا خفيَّة، وأناساَ وأماكِنَ تُفَضَّل "بودوين" ألاً تذكرها. وإن كان المظهر الواضح والصريح والمفتوح لقصصها يخدعنا، فإنه يخدعنا بمهارة تجعلنا نتقبَّل هذا الخداع. فالبيئة التي تبتكرها خطيرة، وكئيبة، وعاصفة. هناك لمحاتٌ من الدُّعابة، غير أن ابتسامتها ساخرة، مُفعمة بالتَّهكُّم وتوجيه الاتِّهَامات. إننا نصل إلى آخر صفحة من قصَّة "بودوين" لنسأل أنفسنا: "ماذا حدث بالضبط؟"، ما القِصَّة وراء هذه القِصَّة؟ إننا نفهم تعقيدات الحكمة تمامًا، من البداية إلى النهاية، وزمان ومكان القِصَّة، وأصوات الرجال والنساء، الذين يملؤون صفحات "بودوين"، ومع ذلك، هناك شيء رئيسي غاب عَنَّا. شيء هرب منا. ما الذي لم نفهمه؟ ما الذي كان ينبغي ألا يهرب مِنَّا؟

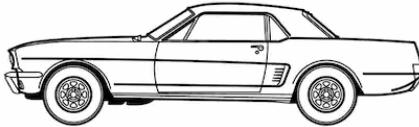
يُلاحظ "بورخيس"، رائد القِصَّة القصيرة، (في موقف مُغاير) أن القيمة الجماليَّة هي البداية لبُوحٍ لا يحدث". وهذا الوعد المُوجَّل هو الميزة المُحدَّدة لأسلوب سرد "ماجىلا بودوين" الدَّقِيق.

"ألبرتو مانجويل"

كريسماس 2015

نيويورك

شيءٌ للعشاء
لـ"فاكوندو"



عندما انتهى كل شيء، جعلتنا أُمنا نعدّها بألّا نذكر هذا الموضوع مرّة أخرى إطلاقًا. لكننا لم نوفِ بوعدنا. لقد ربّتنا على ألّا نكذب مُطلقًا. أعتقد أن كل الأمّهات يفعلن ذلك، ولكن بالنسبة لها "ألّا تكذب" تعني - وهذا شيء استطعت أن أقنع به أخي بعد سنوات طوال - ليس فقط أن تقول الحقيقة دائمًا، بل أن تلتزم بها على الأقل. إنها تُؤمن بأن من الخطأ أن تكذب على الآخرين، والأسوأ أن تكذب على نفسك. والذي تبغضه أُمي بشدّة هو أن تكذب كي تُنقذ نفسك، أو أن تسلك طريقًا سهلًا للهرب، أو أن تُظهر نفسك بشكل أفضل. كيف أصوغها؟ إنها تعتقد أنه من الأفضل أن تحترق بنار الجحيم صادقًا عن الذهاب إلى الجنّة كاذبًا.

لقد رأينا لونها يشحب من الخجل أكثر من مرّة؛ لأن الإخلاص يمكن أن يكون مُعويًا، ومع ذلك تلتزم بقول الحقيقة. أُمنا مُمرّضة، أعني بذلك أنها باردة كالثلج. فهي تعمل باستمرار في الليل في بيوت الناس، حيث إن الأجر يكون أفضل، وإن كان لا يكفي في النهاية، وأقل استقرارًا. بالنهار تعمل

في مستشفى حكومي، حيث المرئيات حكومية جداً، ولكن من بعيد تبدو وكأنها مستشفى خاص جداً. وهذا لم يُضايق أُمِّي بقدر ما ضايق زميلاتها الممرّضات. على الأقل لديها وظيفة، وتحب أن تُدكرنا دائماً؛ لدينا كثير يستحقُّ الحمد، وهو ما حاولت إقناع أخي به، لكنه اتخذ من مشاكسته إياها هواية؛ فكره حضور الحفل الصيفي، الذي يحضر فيه جميع الأطباء، والممرّضات، والإداريين، والأخصائيين، والمحامين، وحتى طاقم الحراسة، أطفالهم معهم.

اعتادت أُمِّي أن تأخذنا معها إلى الحفل على الرغم من أن ستّة أطفال يسبيون الضوضاء. وجود ستّة أطفال، بوجه عام، يُشكّل صعوبة في تناول الطعام والمحافظة على النظام. وهذا هو السبب وراء عدم دعوتنا لمنزل أي شخص، وأيضاً السبب وراء ترك أُمِّي بابنا مفتوحاً لكل فرد. لا يهم عدد الأطفال الأكثر من اللازم الذين يزورون منزلنا لتناول العشاء، فهي دائماً تُدبّر أمورها، كما لو أنها تستخدم السحر كي تطعمنا جميعاً. على أي حال، لا يفوتنا مطلقاً حفل الكريسماس في العمل، أولاً؛ لوجود أطنان من الطعام، ثانياً؛ لأنها تعتبر نُزهة، ثالثاً؛ وهو الأهم، لأنهم يوزعون هدايا. أُمُّنا المسكينة، تمطر عليها الهدايا من السماء، كنوع من العلاوات البائسة. أما نحن الأطفال، فلن نكذب أبداً، نجد دائماً المتعة في محاولة الاختلاط، كالماء والزيت، بالتسكُّع مع أطفال الأطباء في الحفل.

أحب أخي أن يسبب لأمننا الحرج، لكي يختبرها وكأنه يقول لها: "نَر كيف تمثلين دور الشهيدة هذه المرّة!". لقد أخبرني، أكثر من مرّة، بل اعترف لي بأنه سيئ حتى دون أن يحاول ذلك. ومن النتائج المترتبة على أمانة أمّي الكاملة هي أننا أصبحنا قادرين على التنبؤ بردود أفعالها. فيما يتعلق بتربيتنا، لم تكن تتعامل بالنظرية، ولا تُؤمن بالحوارات. لم تكن تمنعنا من قول أي شيء، حتى لو ندمنا عليه بعد ذلك. ربما صفعتك على أردافك مرّتين، واكتفت، أو رمتك بما في متناول يدها؛ فرشاة شعرها، أو الملعقة الخشب، أو نشابة الفطير، أو الطّاسة، أو برتقالتين من سلّة الفاكهة.. لكنها عادة ما تخلع الشُّشب وتضربك به على مؤخرك، ضربتين. إنها فعلاً لا تؤلم بشدّة، على الأقل هذا ما أتذكّره، لأن عقاب أمنا كان بالصياح أكثر من أي شيء آخر. ولأننا أيضاً، في أعماقنا، نعرف أننا نستحق ذلك، مما كان يخفف من وقع الضرب.

لم تكن أمّي من النوع الذي يحمل ضغينة، على عكس أخي، الولد الوحيد في البيت. فنحن البنات ننسى غضبنا بسرعة، لكنه يظل غاضباً ويصيح فيها: "أكرهكِ!". يكررها المرّة تلو المرّة، لكي يسبب لها الأذى، لأنه أكثر واحد تلقى ضرباً. الأمر الذي، بالمناسبة، صار تدريجياً لا يبدو لنا ظلماً، وأصبح مجرد حقيقة أخرى في حياتنا. أعلم أنه ليس من الممكن أن يكون هو الطرف المُذنب في كل مخالفة تحدث بيننا نكبر. والحقيقة أن أمنا توقّفت أخيراً عن سؤال مَنْ فعل ذلك؛ لأن الإجابة التي تتلقاها دائماً هي

الإجابة نفسها. وغالبًا ما كانت تريح بالها وتتناول الملعقة الخشب. كان أخي مثل أمنا تمامًا، باردًا كالثلج. ومثلها أيضًا في أنه لا يلين إلا بعد مدة. نادرًا ما يبكي، حتى عندما ماتت. أتذكر، عندما كنت طفلة، أنه بكى مرة واحدة فقط. كما ترى، إنه لا يعبأ بأن يتلقَّى صفعات على أردافه لو تهيأت له فرصة الانتقام. وحدث ذلك في إحدى حفلات المستشفى للكريسماس. لقد أخبر بعض أطفال الأطباء بأن أمنا تضرَبنا. لم يذكر التفاصيل، ولكنه كان واضحًا في مفهومه، فقال وهو يشير إلى فخذه من الخلف:

- مممم، نعم ماما تضرَبنا.

فضحك الأطفال الآخرون، وأصبح أخي لافتًا للنظر، فقال لهم بجرأة:

- إذا كنتم لا تصدقونني اذهبوا إليها واسألوها!

تبادل الأطفال النظرات، وابتسموا بخبث. يمكن أن يكون الشر نقيًا في طفل في الحادية عشرة. لم يُظهر أخي أي رحمة. راح يراقب الأولاد وهم يسرعون إلى مجموعة من الكبار، حيث تنخرط أمنا في محادثة، يحيطها الأطباء والإداريون، وكل الشخصيات المهمة في المستشفى. فقالوا بصوت عالٍ وهم يضحكون:

- سيدتي! هل صحيح أنكِ تضرَبين ابنك؟

فشعر الكبار بصدمة أزمتههم الصمت. احمرت أمي كالبنجر، لدرجة أننا رأيناها من بُعد وهي تترنح، ولكن ليس لوقت طويل. فقالت لهم بوقار وثقة:

- بالتأكيد، عندما يتطلب الأمر ذلك، ينال "الضربة القُصوى".

فضحك جميع الكبار. عندما عُدنا إلى المنزل، اعتقدنا - نحن البنات - أنه سيتلقى على الأقل عشر صفعات بالشَّشب، ولكن كل ما قالته:

- حسنًا، لقد فعلت ما أردت، فالتأخر في الانتقام يجعل الضربة أشد قساوة، أليس كذلك؟

لم يبدُ عليها الضيق أو الغضب. ولم يظهر انفعالها إلا في عينيها وشفتيها اللتين ارتعشتا قليلاً. وعلى الرغم من أنه لم يُعاقب، راح أخي يبكي طوال الليل، بهدوء شديد، كما لو أنها ضربته حتى ازرقَّ جلده. لقد سمعته من الطابق العلوي من السرير المزدوج. سمعناه نحن البنات الخمس وهو يبكي. لم يكن هذا أول ولا آخر مقلب يديره أخي. لقد تحمَّلتُ أمنا مقالبه، ثم أخذت بعد ذلك تحكيها بحماس بالغ، فخورة بجرأته. إن الأم فقط من تستخلص شيئاً لطيفاً من أفعال أطفالها الشريرة. بالنظر إلى الوراثة الآن، أعتقد أن الأسلوب القديم الذي استخدمته

أُمنّا في تربيتنا هو الذي مهّد الطريق لسُمعتة السيئة التي تسبقه. في الحقيقة، أصبحت تلك نقطة شرف له يؤكدها.

إنها لم تحتفظ قط بزواج لفترة طويلة. أعتقد أنها انتهت باستمتاعها ببطولة كونها أُمًّا وحيدة؛ فقط هي وأطفالها في مواجهة العالم. ولكن الحقيقة - "مثلما يقول الكتاب" كما اعتاد أخي أن يصفها - كانت أُمنّا أيضًا خائفة من الوحدة. إنها استمدّت القوة والدعم من تعاطف الآخرين معها. فالكل كان معجبًا بها لأنها - بجانب أطفالها الستّة - كانت دائمًا تعتني بشخص متكاسل في المنزل. خمسة أزواج على التوالي، خلال السنوات التي عشناها في المنزل. كانت كلمة "أب" لا معنى لها في طفولتنا. استخدمها أخي للمرّة الأولى عندما بلغ السابعة. فجأة أصبح يائسًا، وكثيرًا، وفقد شهيتّه للأكل. سألته أُمنّا، وقد وضعت شفيتها على جبينه لتعرف الحرارة:

- ماذا بك اليوم؟

فأجابها، ناظرًا إلى الأرض:

- لا شيء.

- لا شيء؟ إذًا لماذا أنت هادئ هكذا؟

- أفتقد بابا.

ترددت، ونظرت إليه وفي عينيها إحساس بالذنب، ذهبت وأحضرت له بعض الجيلي. أرى أنه لو قام بهذه الخدعة معها مرة أو مرتين، لربما انطلت عليها، لكنه دائماً ما يباليخ في كل شيء. ففي أحد الأيام، واجهته أُننا، التي لم تكن بطيئة الفهم بأي شكل من الأشكال، وصاحت فيه:

- أنت كاذب! إنك بالكاد تتذكّر أباك!

- طبعاً أتذكّره.

- إداً، فقد حان الوقت لكي تنساه.

استمرّ أخي في لعبه بالسيارة اللعبة كما لو أنها لا تتحدث معه. لم تثر عليه أُمي، فأعصابها باردة للغاية. أمسكته من ياقته وقالت له:

- اسمعني، ربما أحبّك أبوك، ولكنه رحل. وأنا من يُغذّيك ويلبسك،

وهذا هو الواقع، فهمت؟

- نعم، أعرف ذلك.

قال ذلك وابتسامة كبيرة مرتسمة على وجهه، ثم انصرف جرياً.

تكره أُمُّنا الكذب بشدَّة؛ لدرجة أنها وضعت فلفلًا أحمر حارًّا في فم أخي ليتوقَّف عن قوله إنها طيبة، بدلًا من مُمرِّضة. تصادف أن رأَت مُدِّرسته أُمُّنا في المستشفى، فسألته أمام الفصل كله إذا كانت أُمُّنا تعمل هناك أم لا. خيَّم الصمت على جميع التلاميذ الآخرين، وابتلع أخي ريقه بصعوبة، كما يفعل دائمًا عندما يكون على وشك أن يقول كذبة، وقال وقد أوما برأسه:

- نعم يا أستاذة، إنها تعمل طيبة.

أحدثت المُدرِّسة هرجًا ومرجًا حوله، مُطعمَةً مديحها بنوع من الاهتمام الذاتي، بينما صرَّ التلاميذ الآخرون على أسنانهم حسدًا، وبدأ أخي يشعر بضيق في صدره. أخبرني بأنه "كالخنجر". بعد أيام عديدة، عندما طلبت المُدرِّسة من أُمِّي العون في فحوصات طيبة، كادت تنهار من الغضب.

صاحت أُمُّنا:

- إذا كذبت مرَّة أخرى سأجعلك تأكل الفلفل الحارَّ.

مضغ أخي الفلفل الحار دون أن يذرف دمعة واحدة. عندما بلغ أخي الثالثة عشرة، تعلَّم القيادة. لا أتذكَّر مَنْ علَّمه القيادة، ولكن أتذكَّر أنه كان يُسخِّن سيارة أُمُّنا "الرِّينو" القديمة. يحب أن يسير بها خطوتين إلى الأمام ويعود مرَّة أخرى. إنه يوافق على أن يذهب معها إلى

السوق؛ لأنها تسمح له بأن يأتي بالسيارة من الجراج، وأن يأتي بها أمام المنزل. يعدها أخي وهو يمسك بها من ذراعها:

- عندما أتعلّم كيف أقود بمهارة، سوف أوصّلكِ إلى مرضاكِ بالليل، وأنتظركِ في السيارة حتى تنتهي من عملكِ.

فَتُعْطِيهِ أُمْنَا نِصْفَ ابْتِسَامَةٍ يعلوها مزيج غريب من التشاؤم والحذر من تصديقه، فيخبرها بثقة كبيرة:

- تُراهيني؟ دعيني آخذ السيارة وسأريكِ، لا أحد يقود السيارة بمهارة أفضل مِنِّي.

- سننظر في ذلك الأمر.

وبالطبع "سننظر في ذلك الأمر" مختلفة تمامًا عن "لا تذكر هذا الموضوع مرّة أخرى". فبقدر ما يهم الأمر أخي، يتضمّن ردُّ أُمْنَا في طيّاته وعدًّا قريبًا حقيقيًّا كلما زاد هو من عناده. صار تعلّم القيادة همّه الوحيد في الحياة. راح يقضي ساعات في التدريب على الكنبة في غرفة المعيشة، يتخيّل عصا "ناقل السرعات"، ويقوم بالغيارات. ويتكلم بلا حدود عن المحركات 4 "سلندر"، و6 "سلندر"؛ وأبطال سباقات السيارات العالمية، مثل "فانجيو"، و"أسكاري"، و"فارينا"، و"نيكي لاودا"، و"إيمرسون فيتيبالادي"، و"آيرتون سينا"، و"شوماخر"، وغيرهم؛ وعن مميزات ناقل

السرعة اليدوي عن الأوتوماتيكي. سيارة أماننا بها عصا "ناقل السرعات"،
كان يحبها قليلاً. يقول لها:

- عصا "ناقل السرعات" تلك هي الأفضل!

فتضحك. سار حذوه كل من "مارلون" و"جوزيه" صديقيه. لقد غرس
فيهما عاطفته للقيادة، بالإضافة إلى استهتاره... "جوزيه" ابن مدرب
خيول من البرازيل. كافحت أسرته لتقف على قدميها، مثلما فعلت
أسرتنا. لا، بل وأكثر. أحياناً يتمشى "جوزيه" في مطبخنا متضوّراً من
الجوع، فيلتهم أي شيء في طريقه، كأنه سرب من النمل الضخم. لا يمتلك
أبوه سيارة، إنه رجل لطيف، مستعد دائماً لمُدِّ يد العون. أحبته أماننا. أما
زوج أم "مارلون"، من ناحية أخرى، فكان حقاً شيئاً مُميّزاً، على الأقل
هكذا قالت أماننا بصوت هامس؛ لأنها تبذل ما في وسعها كي لا تتكلم عن
أي شخص بسوء. لم تكن تسمح لنا بأن نرُدَّ على ما يقوله الجيران عنه؛
لأننا لا نملك دليلاً. كل ما أقوله إن زوج أم "مارلون" يمتلك سيارة
"كرايسلر ليارون" بناقل حركة يدوي. قال إنها كانت تاكسي، ولكن لم
يره أحد يستخدمها هكذا. لم ينقصه المال يوماً. يقضي أيامه يتنزّه
بسيارته، دائماً مع المجموعة نفسها، ليقضي ليلاليه في الشوارع يسكر. كان
قد ضرب "مارلون" وأُمَّه، ليس بالشَّبشب، ولكن بطريقة من المستحيل
وصفها. عالجتهم أُمِّي ذات مرّة في المستشفى. ومثله مثل "جوزيه"،

يتصوّر جوعًا ويلتهم ما في طريقه، ولكن بعدما يأكل في بيته. كان يقول له زوج أمّه:

- اذهب وُكُل.

فيأتي "مارلون" إلى منزلنا ليتناول الطعام، ولا تُمانع أمنا وتقول:

- طالما جاء إلينا، فهذا يعني أنه يحتاجه. فليأخذه، وأهلاً به.

ذات مرّة، أتى لتناول العشاء في منزلنا. بعد أن انتهى "مارلون" من

غسيل الـ"ليبارون"، أخبرنا:

- خسارة أن يكون لديك سيارة ولا تستخدمها.

فالتمعت عينا أخي، أما أمنا فقد قالت:

- انسّ السيارة، وتعال كُل.

تنظر إلى "مارلون" بشفقة حينما لا يكون ناظرًا إليها. فوجه "مارلون"

دائمًا مُنكّس إلى أسفل حتى حينما يضحك. أصبحت السيارة هاجسًا

للثلاثة. بدأ ذلك بغسلهم السيارة الـ"ليبارون" في أوقات ما بعد الظهر

بقدر ما يمكنهم، ويعني هذا أنه في أي وقت ما بعد الظهر عندما يخلد

زوج أم "مارلون" للنوم بدلًا من ذهابه إلى الخارج للتّنزّه. لم تحب أمّي

أن ترى ابنها يطيع أوامر أي شخص آخر. وفي الحقيقة، إنه يفعل

ذلك لأنه يريد هذا. كلهم يريدون ذلك. رفعوا غطاء السيارة، واختبروا الزيت، والفرامل، والعدادم، واختبروا حتى الآليات الخفية في الأبواب. يقضون الساعات جالسين على الرصيف، ولا يلمسون حتى السيارة، يتفحصونها فقط، مُسترشدين بحدس أخي و"مارلون" اللذين يعملان معًا مُساعدين في مركز صيانة سيارات في عُطلة الدِّراسة. يحاول أخي أن يُقوِّي ثقة "مارلون" في نفسه بإعادة عبارات أُمنا المُشجِّعة، ويومئ "مارلون" في صمت. منذ فترة طويلة، كانت الـ"ليبارون" أنظف سيارة في العمارة. فكانت أُمنا تلومه:

- ماذا ينبغي أن أفعل لأجعلكم تغسلون سيارتي هكذا؟

فيرد أخي بصوته الجريء:

- ادفعي لنا.

- أدفع لكم؟ كم؟

- مبلغًا كبيرًا.

- أووووه حقًا؟ إذا انسَ الموضوع.

نعلم نحن البنات أنه يكذب، ونعلم أن أُمنا لا يمكن استغفالها. فزوج

أم "مارلون" لا يدفع لهم أكثر من كلمة "شُكرًا". في الواقع هو من النوع

الذي يكلفهم فقط ميزة واحدة، وهي أن يلمسوا سيارته. إنه يُضايق "مارلون" ويُهينه، ولا سيما أمام أصدقائه. يصيح في "مارلون" وهو يغسل الجزء الخارجي:

- أسرع! أسرع يا غبي!

فيُسرع "مارلون"، ويكمل هو إهانتته:

- أسرع يا معتوه! أنت عديم الفائدة مثل أمه.

لكم يحلم "مارلون" بقتله. ذات مرّة، وبشهادة أخي و"جوزيه"، خطف الرجل سروالاً نسائياً داخلياً من المقعد الخلفي، وشمّه، وألقى به في وجه "مارلون" قبل أن يدُسّه في جيبه، زمجر قائلاً:

- لا تُخرج هذه الأشياء من سيارتي، فهمت؟

فعل أخي و"جوزيه" ما في وُسعهما ليلتفتا بعيداً، بينما كبح "مارلون" جماح غضبه؛ لأن الشيء الوحيد الذي يهتم هو تعلّم القيادة، والـ"ليبارون" هي وسيلتهم لهذا.

صارت مهمة أخي الوحيدة في الحياة هي تعليمهم القيادة، ومهمتهما الوحيدة ألاّ يعلم أحد بذلك. لقد خطّطوا بشكل جيد، فقصرُوا أنفسهم على رحلات قصيرة، مشحونة بالجسارة والشجاعة. في يوم الكارثة، أدار أخي

مفتاح التشغيل، فقفزت السيارة إلى الأمام بارتجاج؛ لأن أخي نسي أن يجعل عصا "ناقل السرعات" على وضع "المور". فأدرك خطأه، وأوقف الموتور، ثم أخذ نفسًا عميقًا ليهدأ.

- غبي!!

قالها بصوتٍ عالٍ. تأكَّد من أن عصا "ناقل السرعات" على وضع "المور" قبل أن يبدأ التشغيل، واشتغلت هذه المرّة. بدأ على السُرعة الأولى، وانطلق بِبُطءٍ، مُتقدِّمًا نحو عشرة أقدام. ثم عاد إلى الخلف تاركًا السيارة حيث كانت في البداية. فعل صديقه كما فعل. جاء "جوزيه" بعده، كان سائقًا طبيعيًّا. أما "مارلون"، للأسف، فلم يكن كذلك. زمجرت السيارة بمجرد أن توَلَّى عجلة القيادة؛ لأنه حاول قيادتها وقدمه ضاغطة على "الفرامل"، وغيرَ "ناقل السرعات" على السُرعة الأولى. قال أخي مُستجمعًا كل قوَّته:

- هيا، دعنا نفعلها.

فاعتدل "مارلون" بهدوء على مقعد القيادة، بينما الصديقان الآخران يُشجَّعانه. تيقَّن "مارلون" أنه يجب أن ينطلق، فتمتم عندما نجح في أن يضبط السيارة على السُرعة الأولى:

- هيا، الآن.

وأخذت رُكبته في الارتعاش. ضحك "جوزيه" قائلاً:

- مهلاً، تبدو وكأنك ستفقد قدميك.

كان الشارع خاليًا كما هو مُعتاد في فترة ما بعد الظهر. لم ينجح شيء في حمايتهم من أشعة الشمس الحارقة. قميص "مارلون" مُبلل بالعرق عند إبطيه وصدرة، وجبينه يتصبَّب عرقًا. وقال بصوت قوي:

- آن الأوان، إننا على استعداد.

فنظر "جوزيه" وأخي كل منهما الآخر. وعلا صوت "مارلون" وبإصرار:

- هيا، أم أنكما خائفان؟

يؤدي الشارع الذي يقع خلف شارعنا إلى مدرسة القواعد، وقسم الشرطة، لذا فإن حركة المرور تزدحم في ساعات الذروة، ولا سيما في وقت الانصراف، عندما تعجُّ بالأطفال والسيارات المركونة. فقرر "مارلون" أن ينتهز الفرصة وينطلق. وراح يصيح وهو يضرب عجلة القيادة بكفّه:

- مَن مِنَّا الخائف؟

قوبلت كلماته بالصمت. فوجد نفسه للحظة وحيدًا. فصاح أخيه،

وقد جاء ليُساعد "مارلون":

- مَن منكم خائف، يا أغبياء!

فصاح الثلاثة:

- لا أحد!

شعر أخي بالقلق قليلاً، على الرغم من أنهم ناقشوا هذه اللحظة مرّات عديدة، ففكرة الطريق المفتوح دعتهم لذلك. إنه المصير الذي حلموا به. بعد بداية لا بأس بها، انطلق بعيداً عن الرصيف برشاقة، ولوّحوا لجارتنا "ميكائيل" التي وقفت في محلها. إنها صديقة أُمنا، لذا أيقن أن أُمنا ستعرف عاجلاً أم آجلاً. نقل إلى السُرعة الأولى، ومن الأولى إلى الثانية في اللحظة التي بدأ فيها يضغط على "دواسة البنزين" مما جعل حركة النقل مهزوزة. سار بها بسلاسة حول العمارة، وأبطأ ليسمح لعربة نقل بالمرور، واستدار يمينا، ودخل شارعنا الجانبي، وفرمل فجأة عند الرصيف. كانت ساقاه ترتعشان أيضاً، اعترف لي بذلك فيما بعد. كان "جوزيه" التالي، الذي لم يأمل في أن يكون الأذكي، أو الأفضل، أو الأكثر جرأة، فصاح فجأة:

- أنا مُتوتّر!

ولكن لم يستجب أحد. لم يبدأ "جوزيه" بتشغيل السيارة الـ"ليبارون" بسلاسة، ولكنه شغلها وسار بها حول العمارة برزانة كما لو كانت عربة يجرّها حصان، دون حتى أن ينقل السُرعات. عندما تجاوز

مدرسة القواعد، كان الشارع مملوءًا بالسيارات المركونة، ولكن لم يكن هناك أطفال على مرمى البصر.

أخذ أخي نفسًا عميقًا. استمرَّ "جوزيه" في رحلته حول العمارة ببطءٍ لا نهائي، وأوقف السيارة وخرج منها قفزًا كما لو أنه دُفع منها. قال:

- يدي غارقة بالعرق!

وراح يُجفّف يديه في بنطلونه الجينز. فنظر أخي إلى وجهه، وانفجر ضاحكًا. في الواقع، كانت ضحكته متوترة.

التالي هو "مارلون"، لم يبدُ مُتحمسًا أو واثقًا بعد الآن. قال أخي إنه كان ساذجًا وبدا وكأنه سيتقيأ، فأخبره أخي:

- يمكننا أن نتوقّف الآن، إذا أردت.

لكن "مارلون" لم يتردّد، واستبدل الأماكن مع "جوزيه"، لم يأخذ أي نفس عميق، ولم ينقل سرعة السيارة من السرعة الأولى إلى الثانية، ولم يفعل أي شيء من هذه الأشياء التي مارسوها بحرص. ولم يرشم الصليب على جسده حتى كما يفعل ثلاثتهم دائمًا قبل تشغيل السيارة. كل ما فعله هو أن أخذ المفتاح خطفًا. قفزت السيارة إلى الأمام، ولكنها بدأت تشتغل. تسارع "مارلون"، واستعدّ للغيار. وأعطى إشارة بأنه سيَتَّجه إلى اليمين،

وارتسمت في عينيه النظرة نفسها - كما أخبرني أخي فيما بعد - التي
أثارت كثيراً من العطف في أُمنا. صاح "جوزيه":

- أبطئ يا رجل، ستقتلنا كُلُّنا!!

بدلاً من الإبطاء، أسرع بالسيارة وهو يدخل الدَّوران. زمجرت
السيارة، وارتفعت، وبالكاد تفادت أوتوبيس، وموتوسيكل وتاكسي، وحتى
عربة بحصان. ثم فجأة انشقت الأرض عن امرأة، وقفت في وسط
الطريق، وتمسك بطفلين في يديها. لقد فات الأوان على أن يدوس على
الفرامل. أدار أخي عجلة القيادة جهة اليمين بعنف. وأمسك "جوزيه"
بالمقعد الأمامي، وتشبَّث "مارلون" بلوحة القيادة. اصطدمت مُقدِّمة
السيارة في حائط قسم الشرطة، تساقط الطوب الأحمر من الجدار على
غطاء السيارة المنبعث منه الدخان، وقد تكوَّر مثل كُرة من الورق.
استدار "مارلون" ليتأكد من أن أخي و"جوزيه" ما زالا على قيد الحياة.
بدت عيناه كأنهما خرجتا من محاجرهما. فغر فاه دون أن ينطق بكلمة.
دفعه أخي إلى خارج السيارة ثم قفز هو.

أخبره:

- لا مفر، لن تتركنا وتهرب الآن!

كان "جوزيه" أكثر الثلاثة تماسكاً، قال:

- اهدأ، الشرطة قادمة.

في تلك اللحظة، دقَّ جرس الانصراف. وفي لحظة وجدوا أنفسهم مُحاطين بصيحات الكبار وصرخات الأطفال. كل ما كان موجوداً في مجال رؤية أخي هو إيماءات "جوزيه"، ومقاعد السيارة المُعرَّضة للعيان عن طريق الأبواب المفتوحة، وبُقعة البلل الكبيرة التي على جينز "مارلون"؛ كان هذا ما تبقَّى من خوفه، وأيضاً من شجاعته. سألت الشرطة مَنْ كان يقود السيارة وقت الحادث. لم يزل "مارلون" لا يستطيع الكلام. أما أخي فقد أجاب بسرعة وبشكل آلي، بالطريقة نفسها التي أجاب بها أُننا عندما استجوبته في المنزل:

- أنا.

صوته مُرتعش، ابتلع ريقه بصعوبة. عندما أحضرت الشرطة الأولاد إلى قسم الشرطة، أمطروهم بالأسئلة، التي أجاب عنها الأولاد الثلاثة بلا تردُّد، كما لو أنهم لم يتعلَّموا قط من التليفزيون أن من حقهم أن يظلوا صامتين. فبسرعة أفرَّوا بمالك السيارة. سجَّل الضابط المسؤول ملكية زوج الأم بعدما أملاه "مارلون" الاسم كاملاً. واعترف الثلاثة بأنهم قادوا السيارة حول العمارة بالتناوب، فقال الضابط بصوتٍ عالٍ:

- من دون ترخيص!

كزّر أخي بأنه هو الذي كان يقود السيارة عندما اصطدمت، وأنهم لم يأخذوا السيارة من قبل مُطلقًا. سجّل الضابط هذا، وأضاف: "دون إصابات بشرية". أعلنت الشرطة عن نيّتها مصادرة السيارة. ملأ هذا الخبر "مارلون" باليأس:

- يا للهول! سيقتلني.

سجّل الضابط ذلك في دفتره الصغير، وذلك عندما فقد أخي أعصابه،

وقال لـ"مارلون":

- لن تموت، وتوقّف عن البكاء أيها الأحمق.

كان الحي في حالة صخب؛ لدرجة أن أمّي وأنا، بعدما عدنا من

المستشفى في السيارة "الرّينو"، لم نذهب إلى البيت مُطلقًا. الكل كان

يتحدّث عن ذلك. لوّحت "ميليسيا" لأُمّي فتوقّفنا أمام محلّها. وكما توقّع

أخي، حكّت كل شيء فورًا، بالتفاصيل. اتّجهت أمّي في الحال إلى قسم

الشرطة وهي تُردّد طوال الطريق:

- يا رب.. يا رب!

أحسستُ بأنني ابتلعتُ حجرًا. عند وصولنا إلى القسم، سألت أمّي

عن الضابط المسؤول، واستمعت إليه جيّدًا بصرٍ بالغ، وسألته:

- هل كان ابني يقود السيارة فعلاً؟

لأن ذلك ليس ما يحكيه الجميع في الحي. فأوضح لها أن أخي اعترف بذلك بنفسه. تعرف أمِّي كيف يتصرّف عندما تسوء الأمور. وأخبرها الضابط بأنه بفضل تصريحات الأولاد يمكنه أن يكتب المحضر بسرعة. يمكن لأولياء أمورهم أن يأخذوهم بعد أن يملاً بعض الأوراق، وبعد أن يدفعوا. كان والد "جوزيه" بعيداً في مكان ما في الريف بأحصنته، وكان زوج أمّ "مارلون" غير موجود على الإطلاق. أخبرت أمِّي الضابط بأدب وثقة بأنها إذا كان لا بد أن تدفع كي تأخذ أخي فإنها لا تُمانع، ولكن توذُّ أن تتحدّث معه أوّلاً. سمحوا لنا بالدخول، بينما انتهوا من فحص السيارة. عندما وصلنا إلى الزنزانة، رأينا "جوزيه" في البداية، وكان "مارلون" مُتكوّماً في ركن، ورأسه على رُكبتيه، بينما أخي مُلتصق بحائط الزنزانة الجانبي. ابتلع ريقه بصعوبة عندما رأنا، واقترب مِنَّا. جذبته أمُّنا من يده، وسألته بهدوء وهي تضغط على ذراعه:

- بحقّ المسيح يا بُني، لماذا قلت إنك أنت الذي فعلتها؟

لم تُرد أمِّي أن تنسحب، وبدا هو كَمَن يبحث عن كلمات.

- أرجوكِ يا أمِّي، دعينا من هذا.

ونظر إلى "مارلون". تتبَّعت نظرتَه، جفنا "مارلون" مُتورِّمان.

- دعنا ننتظر حتى نصل إلى بيتنا، هذه المرة ستأكل الفلفل الأحمر الحار.
وبدت الدموع تنساب من عيني أُخي. ضغطت أُمي على يده،
وبصوت يُعْمُ الزنانة كلها قالت:

- كيف حالكم يا أولاد؟ هل أنتم جائعون؟ هل تريدون أن أحضر
لكم شيئاً ما للعشاء؟

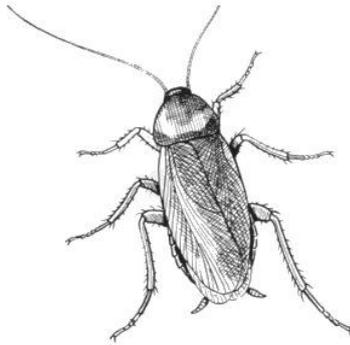
حينما عدنا إلى الاستقبال أبلغنا الضابط أن هناك التباساً، فقد أسفر
تفتيشهم للسيارة عن شيء مُهْرَب. قال لنا:
- إنه سُغِل احتراماً.

امتلاً عقلي بشئى الصور، مثل بكرة فيلم تُعرض على سقف غرفتنا
مشاهد من فيلم قديم في الليل. بدأت الشرطة تبحث عن زوج أُمّ
"مارلون"، واستدعت أُمّي المحامي الذي يعمل في المستشفى. وبدأ كل
شيء آخر يتكشّف مثل الفيلم. جفّت أُمّ "مارلون" دموعها وأقرّت بكل
ما يعرفه أهل الحي بالفعل. أُمّ "جوزيه" مُتماسكة مثله. أما زوج أُمّ
"مارلون" فكأما انشقت الأرض وابتلعتة. لم يعثروا على زوج أُمّ "مارلون"،
لا في ذلك اليوم، ولا في أي يوم. دفعت أُمّي للمحامي وتعويض التلفزيونات
من قرض من المستشفى. ووعدت أسرة "جوزيه" بدفع ما عليها، ولكن
رحلت الأسرة إلى البرازيل. وكذلك أُمّ "مارلون" تركت البلدة، وكان

هذا بناءً على نصيحة أمي. أما أخي فقد هرب من الشبشب والفلفل الأحمر، وهذه قصة لن نتكلم عنها؛ إذ قطعت أُننا علينا وعدًا ألا نتحدّث في ذلك مرّة أخرى. وبعدها ماتت، مرّ وقت طويل لا نكاد نتذكّر فيه ذلك.



سوناتا للصيف في بوينس آيرس



اهتممت "إلليسن" كالعادة بكل شيء. وجدت سيّدتين عجوزين لتؤجّرا لي غرفة أثناء إقامتي في بوينس آيرس، حيث التحقتُ بالدراسة التي ودّ كل منّا أن يحصل عليها. هكذا تكون المُجاملات البشعة عندما تكون على مشارف الموت؛ لقد تخلّلت عن مكانها لي حينما أدركنا أننا لا نستطيع أن ندفع تكاليف التّعليم لنا نحن الاثنتين. وهذا سبب آخر يجعلني مدينة لها. عند هذه النقطة، لا أدري كيف يمكنني أن أكون مدينة لشخص آخر أكثر من ذلك. سوف أصنع قائمة بأفضالها، لأجنبها عناء صنّع ذلك من أجلي، وبهذا على الأقل لن أكون مدينة لها بتلك القائمة أيضًا. أوّلاً؛ لقد تركت كل شيء وراءها لكي تنتقل معي. وفي مثل حالتها، يُعدُّ ذلك عملاً بطوليّاً؛ لأن أسرتها - الذين كانوا فضوليين على عكسي - كانوا على استعداد أن يسلموها حيّةً في غلاية مملوءة بالزيت المغلي. أمّا بالنسبة لي فقد كان هذا الأمر سهلاً؛ كنت أكبر سنّاً. والداي من "الهيبيز"، وأشكُّ أنهما شعرا بارتياح خفي لفُدرتهما على التّباهي بابنتهما "المختلفة". بالإضافة إلى ذلك، كوني أكبر بعشر

سنوات كان يُعتبر ميزةً؛ لكنه أصبح الآن تصفية حسابات لما سبق عليّ أن أسددها... عقابًا إلهيًا... هزيمةً لجسدي.

ثانيًا؛ لقد تركت كل شيء وراءها لكي تجعلني أنألق؛ من خلال الدراسة، والعمل بقسم الأخبار الأجنبية بالصحف، والسفر، كل هذا تدعّمه "إليسّن" في ظهري. لقد تركت وراءها دراستها في معهد الموسيقى لتتبعني، على الرغم من أنني لم أطلب منها ذلك، لا أحد عاد يتذكّر هذا على الإطلاق... لأن "إليسّن" تُراعي مشاعر الآخرين لدرجة أنها تُغيّر الموضوع لو أن أحدًا ذكّرها بنوع من الحنين كم كانت عازفة كمان عظيمة، وماذا كان سيحدث لو... ثالثًا؛ لقد تركت كل شيء وراءها، مُجددًا، لتتقذي من الموت من الرُعب أثناء خضوعي للعلاج الكيميائي. ليست عاطفة مُبالغًا فيها؛ لقد فعلت "إليسّن" كل هذا من أجلي. وهذه الحقيقة، التي لم تُعطني أي شيء سوى أن أتُحكّم في نفسي، تُحطّمني الآن. لأنني أنا الآن التي أحتاج إليها، ولا أستطيع التّحمّل.

كان من المُفترض أن يكون ذلك راحةً لنا، ولكن "إليسّن" لن تتوقّف عن الشكوى... إنها في حالة هستيرية بسبب الصّراير. هذا ما أناله لكوني حمقاء؛ ما الذي سأكسبه من مُحاولتي أن أكون مُضحكة في هذا الموقف؟ فاضطرت للابتعاد لأنني أوشكت أن أجعلها تموت بسببي. السيّدتان العجوزان لهما اسمان علاجيّان؛ "ريميديوس" و"ميلاجروس"، أي "علاج" و"مُعجزة".

دخلت "ريميديوس" و"ميلاجروس" في نقاش بعد العشاء. "ريميديوس" تصيح، وترفض "ميلاجروس" أن تنصاع لها، حتى صاحت "ريميدو" بصوت عالٍ، لكي تسيطر عليها، وتتحكّم فيها، ووقتئذٍ فقط أجابت "ميلاجروس":
- نعم يا "ريمي"، لقد سمعتك.

ذكّرني هذا بتشاجري مع "إليس"، ولن أقول مَنْ كانت منا مثل "ريميديوس" وَمَنْ مثل "ميلاجروس". يا للتعاسة! إنهما لم تبعيا أي شيء اليوم. وفوق كل ذلك، انكسر سخّان الماء. فاستمرت في غسل الأطباق تدريجيًا بقدر الإمكان، ولكن بينما أضع الصّاج الكبير بعيدًا، استدرتُ سريعًا فاصطدمتُ في دولاب المطبخ. صدم حرف الرّف الحادّ جيني، بعُنف كبير مثل ضربة المطرقة. وقع الصّاج على الأرضيّة، وكلتا السيدتين استدارت ورگزت عليّ. ها هو الوضع عندما تكون ضيفًا. الاثنان متيقظتان على نحو مُبالغ فيه.

استغلت "ميلي" حادثتي وتسلّلت سرًّا بحقائبها مغادرة البيت. ومن جانب آخر، نفّست "ريمي" ما تبقي من غضبها فيّ. فقالت:

- ماذا فعلتِ بحق الجحيم؟

من الواضح أنها تغلي غضبًا؛ بسبب الماء البارد، بينما كنت أمسك

برأسي:

- لا تقلقي، لا شيء.

اعتقدت أنها اللحظة المناسبة لظهور صرصار فيلينا بمهمة مُطارده
وقته. كان بمقدورها أن تفرغ زجاجة المبيد الحشري عليه، وطاولة
المطبخ، والمطبخ بأكمله، مُحاولةً طوال الوقت أن تقنعي بأن ذلك ليس
بسبب أن منزلها غير نظيف؛ وإنما كلتانا تعرف الحقيقة. لذلك، بمجرد أن
تخرجا لفترة طويلة، أقوم بتنظيف كل شيء. أفعل ذلك كأني مُتسابقة
في الرِّكض، أنظف كل سطح في الشقَّة جيِّدًا، التي لحسن الحظ صغيرة
جداً. أحاول ألا أتأخَّر في المطبخ، على الرغم من علمي بأنه أكثر مكان
بحاجة للتنظيف. لكنني لا أستطيع، إنه يجعلني أميل للتقيؤ. الاثنتان
تعرفان ما أفعله في غيابهما، لكنهما لا تنطقان بحرف. لماذا مُحاولة تبرير
الفقر؟ إنهما تُوَضَّحان لي:

- إنه وقت الصيف.

مَن في هذه الحرارة يلبس حذاءً برباط؟ أحياناً أدعو بأن مُطر، فقط
لأجل أن يخلع الناس الصنادل ويلبسوا الأحذية حُبًّا في التَّغيير. والمشكلة
أن الجو يصبح أكثر حرًّا بعد هطول المطر. لم أفهم مُطلقاً قانون الأرقام
الكبيرة، لماذا في مدينة كبيرة مثل بوينس آيرس تبيعان بضاعتها بمبلغ
زهيد؟ إنهما تُقسمان بأن ذلك بسبب أن الصيف كان حارًّا جداً، ولأن
عدداً من الناس غادر المدينة بشكل أكثر من المعتاد. لكم أهنئ تصديق
ذلك، ولكن حالة الشقَّة تُوحى بأن وضعها استمرَّ أكثر من فترة الصيف؛
فالجدران سوداء من الدخان، والأرضية مُبقَّعة، والمطبخ حُطام، ويمكن أن

ترى الإسفننج الأصفر يبرز من الكنبه. إنها بيضاء. أو كانت بيضاء؛ لأنني اشتريتُ أمس غطاء أثاث، ووضعتُه عليها. شكرتني "ريميدْيوس" كفتاة صغيرة. ذات مرّة، قالت "ميلاجروس" شيئًا مختلفًا:

- حلوتي، هل هكذا تريننا؟

لو أن "إليسِن" معي، لتعاملت مع هذه التصرفات بغضب - وقد كان هذا ما يميزها - وهو ما كان يجعلني أشعر بالخجل للحظات. غير أنه الآن، بعد سنوات من صداقتنا والعِشرة البطوليّة لها، لا يعني هذا حتى مجرد عتاب، بل علامة على النُّفور المُمل. النُّفور المُمل نتج عن أشياء لا يمكن تغييرها، ولذلك لا فائدة من تصحيحها.

لستُ متأكّدة إذا كان ينبغي أن أكتب عن هذا، وخصوصًا أنني هنا منذ فترة قصيرة، اثني عشر أسبوعًا فقط. أتُهمّت ذات مرّة بأنني راوية غير جديرة بالثقة، وبالطبع كانت "إليسِن" هناك لتُذكّرني بذلك. لم أعتذر مُطلقًا لكوني صحفية، على الرغم من أنه يجب عليّ أحيانًا فعل ذلك، ولكن ما دام ليس مُمكنًا لي أن أتجوّل هنا وأسجّل كل ما أراه، فرمًا ينبغي أن أقتع نفسي بأنني أخلّق هذا. وبهذه الطريقة سأكون قادرة على حكي القصة من دون إحساس بالذنب. على أي حال، لهذا السبب جئتُ هنا، لأحمل التسجيل بعيدًا، وأكتب دون قيود حتى ولو كان كورس الأدب الذي

أدرسه ليس سوى محاولة للهروب. لعلّه من الأفضل إقناع نفسي بالحقيقة؛ لقد جنّْتُ هنا لاستكمال العلاج، كما تقول "إليسِن"، ولكن هل يمكنك أن تُعالج من دون أن تنهار أوّلاً؟

فأنا، التي تعرف مفهوم السعادة، والتي تحزن أحياناً من دون سبب، وعدت نفسي بأن أُجرّب "التجديد"؛ فنحن لا ننجو من السرطان كل يوم، بالإضافة إلى الرعاية الحنونة ممن يحبك. لهذا السبب أجلس كل صباح في الموعد نفسه بالضبط، وأكتب. وهذه هي الطريقة التي أقنع بها نفسي أنني لا أَعْشُها، وأن هذا الصيف هو أكثر من مجرد فصل للاهتمام بالذات. وهذه الطريقة التي سأتحرّر بها دون أن أسقط في الفراغ. لقد تركت خلفي وظيفة ومُرتباً جيداً. لقد تركت خلفي المرأة المثالية (مثالية لدرجة أنها تخفني). تركت خلفي كل وسائل الرّاحة المُملّة. أُعيد النظر في هذه الفكرة الأخيرة، وأُقرّر أنه من الأفضل أن أكتب... "لقد تركت خلفي كل وسائل الرّاحة المُملّة". نعم، لهذا السبب جنّْتُ هنا، حتى لو أنني لم أحمق هدفي، فعسى أن تكون هذه المرّة هي العلاج الذي سيشفيني من كل الهواجس والاضطراب العصبي؛ لأنه عند هذه النقطة أستطيع أن أكتب رسالة كاملة عن الشعور بالرّهبة. ولكن كيف تنسى شيئاً لم تُعطه اسمًا؟

في بعض الأحيان، أشعر بأنني تعيسة، تعيسة بمعنى الكلمة. طبخت اليوم مكرونة مع الصلصة، وصوص "البيستو"، والرّيحان، وعين الجمل، مع المشروم. تناولت "ميلاجروس" منه شيئاً، تلك التي لا تأكل على

الإطلاق، وبالذات وجبة الغداء. استمرّت في اختلاس النظرات على بطاقة السعر الموجودة على علبه عين الجمل. أحسب أنها أحسّت بالذنب لأنها لم تأكل منه كثيرًا، لربما قالت لنفسها: "مَن يدري متى أستطيع أن أكل شيئًا كهذا مرّةً أخرى؟". أسوأ ما في الأمر أنه عندما بدأت أتباهى بعملتي لهذه الأكلة، زحفت الصراصير إلى الخارج. بعضها في المصفاة، وبعضها يتأرجح في الفناجين المُعلّقة في الجدار، وثلاثة أخرى تطل من البالوعة. تراوحت أحجامها بين الصغيرة والصغيرة جدًا. حاولت "ريميديوس" أن تمنعني من الصراخ؛ أخذت من يدي الأواني، بينما حاولت أن أمسح أي تعبير من وجهي. أخذتُ أفكّر في "إليسِن" وأنا أرشُ المبيد في البالوعة. وبالطبع كان هذا نهاية رائحة الرّيحان اللّطيفة. يا له من سجن فائن وسخيف! عليكِ اللّعنة يا "إليسِن".

تركت "ريمي" مذكرة مُلصّقة على الثّلاجة: "سيأتي مارتن عندنا اليوم". خطّ يدها قوي، ويبعث على الثّفاؤل، مثل حديثها تمامًا. تتكلم "ريميديوس" لساعات وساعات دون أن تنتبه إلى أن من أمامها لا يرد عليها سوى بكلمات قليلة. كتبتُ في أسفل المذكرة المُلصّقة، كما لو أنها نسيّت فتذكّرتُ قبل أن تُغادر المنزل... "إليسِن تريدك أن تتّصلي بها". لم يأتِ "مارتن" مُطلقًا كي يصلح سخّان الماء.

بعد الدرس، ذهبْتُ إلى محل بجوار العمارة، يملكه صينيون. يوجد في الداخل قسم مستقل للفاكهة والخضروات، أو على الأقل يبدو هكذا. لأنك

لو اشتريْتُ بعض البصل فعليك الدَّفْع في المكان نفسه، لا عند الصَّرَاف. لم أستطع منع نفسي من مُراقبة المرأة التي تعمل في القسم، إنها من بوليفيا، مثلي، عرفتها في الحال. تعمدت الاقتراب منها، كُنْتُ في مُنتهى الغباء؛ إذ سألتها أمام الجميع من أين هي. لو استطاعت أن تبصق عليَّ لفعلت، ولكنها كذبت وردَّت:

- من بيرو.

عندما وصلت إلى الشقَّة، كانت "ريمي" قد تركت لي شيئاً من العشاء. لم تُبِع أي شيء في ذلك اليوم أيضاً؛ إنها مَن تتولَّى الصَّرَف. لقد قطعت مسافة طويلة إلى ثلاثة محلَّات، مملوكة لصينيين، ولكن لم يكن أحد من أصحاب المحلَّات موجوداً. فبالصدفة كانوا كلهم في الصين. غضبت "ريمي" للغاية:

- انظري للأموال التي يجمعونها، بينما نحن نقتل أنفسنا من أجل

حفنة سنتات.

لم أدِر ماذا أقول لها. فكَّرت في كلمات، مثل "مافيا الصين"، و"خنازير الصين"، و"أغنياء الصين"، ولكن لم تُسعفني منها واحدة. حاولت أن أُهدِّثها وأحكي لها عن الفتاة البوليفية والبصل، ولكنها فكرة غير جيِّدة... ازدادت حالتها سوءاً. أخبرتني كيف من فترة وجيزة كانت في المستشفى، لأن "ريميديوس" في السبعين، ومريضة. أمامها في الطاير عَشرون

شخصًا من الأحياء الفقيرة، كلهم من بوليفيا. من غضبها، تجاوزت
الطابور فردًا فردًا، وهَدَّت المُمْرِضة:

- ستأخذيني أنا أوَّل رقم، أنفهمين؟ هذا بلدي.

تذكَّرت شيئًا ما لكاتب بريطاني قرأتُ له حديثًا. يقول إن من يريد أن
يعرف تاريخ بوينس آيرس فعليه بقراءة الألقاب المذكورة في دليل
التليفون؛ مثل "رومانوف"، و"روميل"، و"روز"، و"رادزيفيل"،
و"روتشيلد". على الرغم من أن "ريميديوس" لا تريد أن تسمع، فإن
اسمها سيُدرج قريبًا في الأسماء البوليفية، مثل "كوندوري"، و"ماماني"،
و"هوانكا"، و"باريساكا"، و"أبازا"، والأسماء الصينية، مثل "وانج"،
و"فونج"، و"باي"، و"تشاو"، و"يانج"، و"وو". تُحافظ "ميلاجروس" على
هدونها. عندما تصل إلى أعمارهم، سيصعب التَّغيير.

أحسستُ اليوم بكثير من الألم، انَّصَلت بـ"إლისن"، ولكنني ندمتُ
على الفور. لقد انتهى بي الحال لأن أُجسِّد "الأنا" الممتَّوحشة. انتهى بي
الحال لهذا. صرختُ في وجهها مُجَدِّدًا بأنني لم أعد مريضة بعد الآن.
عليها أن تتركني وحيدة. لا أريد ضحية بجواري. قلت لها:

- أتعرفين؟ أعتقد أنني سأقيم هنا.

لم ترد. وبكت بشدَّة. القصَّة القديمة نفسها، ولكن في هذه المرَّة لن
أقول آسفة.

اليوم (الجمعة)، نهاية الشهر الأوّل منذ وجودي هنا. لا يوجد درس اليوم، ولا أشعر برغبة في الكتابة. أحسستُ بنوع من الوحدة، ولكن رنّت كلمات "ريمي" في رأسي: "مَن يشعر بالملل في هذه المدينة؟"، وربما ما قالته بالفعل هو: "الحمقى فقط هم الذين يشعرون هنا بالملل". فُلْتُ لنفسي، أفضل شيء هو التمشية؛ لأملأ ناظريّ بالبلونات، والكورنيش، والأشجار، وأكشاك الكُتب، والناس على الزلاّجات، وعلى الدرّاجات، والباصات، وأكشاك بيع الصُحف، وأكشاك الزهور، والكلاب. كلاب "البرادور"، و"دالماتيانس"، وكلاب صيد إسبانية، وكلاب الراعي الألمانية، و"الماستيف"، و"سامويدس"، و"داشهاندز"، و"البودل"... أصحاب الكلاب مع كلابهم، ومُدربو الكلاب مع كلابهم، بالإضافة إلى الذين يقومون بتمشية عشرات الكلاب. مجموعة من الكلاب بكل عواقبها، والمُشاة يحاولون بحذر تجنّب هذه العواقب. كنتُ هناك في أرض العواقب. دُسْتُ على فضلات كلب، ولا يوجد ماء ساخن في المنزل.

يوم الجمعة مرّة أخرى. أسبوع جيّد، بقصص جيّدة. عُدتُ إلى المنزل حوالي الساعة السادسة. كانت "ميلاجروس" أمام الكمبيوتر، كما هي دائماً، والسّماعات في أذنيها، والأنوار مُطفأة. ربتُّ على كتفها. لم أرغب في البقاء هنا، ولم أرغب في الذهاب إلى السينما بمفردي. سألتها فقالت: "لا"، توسّلتُ إليها. أخيراً قالت: "نعم". تجاوزنا مشياً عشرين مبنى سكنياً في وسط البلد إلى السينما في "ريكولتا". أخذتُ أعُدُّ بالفعل كل مبنى، وشغلت

ذهني بماذا أقول لها في الطريق. لم أستطع أن أفكر في شيء أتكلّم عنه إلا حرارة الصيف، لكنها استطاعت أن تبدأ بالكلام؛ إذ بادرت:
- فترتي المفضّلة في الأفلام هي فترة الخمسينيات.
فقلتُ، وقد شعرتُ بالتعالي عليها:

- أوه، حقًّا؟

ووبّختُ نفسي، فقلت في داخلي: "توقّفي". تذهب "ميلاجروس" كل صباح كي تبيع سلعتها، ولا تأتي إلى البيت إلا في المساء، تغلق فمها فلا تنطق بكلمة عمّا فعلت طوال اليوم. كل ما أعرفه أنها لا تبيع كثيرًا، كما أخبرتني "ريميديوس". ولكنها الآن تتكلّم كما لو أن شخصًا ما فتح حنفيّة. إنها اعتادت أن تذهب إلى السينما في مدينتها الأم... "كارمن دي أريكو"، ثلاث مرّات في الأسبوع عندما كانت شابّة. أظنُّ أنها أحبّت "جريجوري بيك". لم أستطع أن أتذكّر ملامحه حتى أخبرتني:

- إنه ذلك الذي مثل في فيلم عن روما مع الممثلة "أودري هيبورن"، هل تتذكّرين؟ لقد لعبت دور الأميرة "آن" التي تذهب متخفية.
فوجئت.

- هل تعلمين أن هذا أوّل دور بطولة لـ"أودري"؟

آآآخ، بالكاد أتصوّر "جريجوري بيك". حاولت أن أفكّر في مُمثل آخر
من الحقبة نفسها كي أستفزّها، فقلت بحنين:

- لم أحب "جريجوري بيك" بقدر "همفري بوجارت"... أحببته عندما
شاهدت "كازبلانكا".

لكنها صحّحت لي بأن "كازابلانكا" كان في الأربعينيات، وليس
الخمسينيات، آآآآخ مرّة أخرى.

ولكنه مثل فيلمًا في الخمسينيات، أنا متأكدة أنني شاهدته.
وراحت تشرح في الحقيقة أن فيلم "الملكة الأفريقيّة"، الذي مثله مع
"كاثرين هيبورن"، ولم تكن بجمال "أودري" مُطلقًا. آآآخ مرّة أخرى.
فكّرت في كلمات "إليسن" الحكيمة الخالدة: "عزيزتي، الصّمت من
ذهب، والكلام من فضّة". التزمتُ الصّمت، بينما "ميلاجروس" تتحدّث
وتتحدّث عن فيلم "النافذة الخلفيّة" لـ"هيتشكوك"، وعن "مارلون
براندو"، و"فيفيان لي" في فيلم "عربة اسمها الرّغبة". أستطيع أن أتذكّر
"فيفيان لي" في دور "سكارليت أوهارا" في "ذهب مع الرّيح"، ولكنها
ذكرت سنّة أفلام أخرى مثلتها بعد هذا الفيلم. وصلنا تقريبًا إلى السينما،
تجاوزنا فقط المدافن عندما ذكرت المخرج "كوروساوا":

- السّاموراي السّبعة، أتتذكّرين؟

هذا الفيلم شاهدته بالفعل، لكنه لم يعجبني. جاء دوري للحديث،
إسهامًا ببعض الشيء، ولكن الوقت كان مُتأخِّرًا. لذلك عندما وقفنا أمام
أفيشات الأفلام المُضاءة، جعلتها هي التي تختار الفيلم.

إبر العلاج الكيميائي مرَّةً أخرى، مكثتُ في السرير طوال اليوم.

اليوم (الجمعة). يتبَقَّى لي أسبوعان، ولا أريد أن أعود إلى موطني. لم
أتَّصل بـ"إليسن". فتحت "ريميديوس" زجاجة "شاردوناي" كانت تحتفظ
بها للكريسماس. احتفظت بها لتشرب مع "سوليداد" التي جاءت لتصنع
بيتزا للعشاء. أحضرت "سول" أيضًا زجاجة من النبيذ الأحمر معها، لذا
شربنا الزجاجتين معًا. فرحت "ريميديوس" لأن "مارتن" جاء أخيرًا ليُصلح
سخَّان الماء، بمجرد أن عاد من رحلته إلى "باتاجونيا". "مارتن" قصير
ونحيل، في وجهة نظري، ولكنه ودود.

- أهلاً "ريميديوس"، هل أنتِ بخير؟ لا تبدين كذلك، أتعرفين هذا؟
في تلك المرَّة، كلفهما أكثر من 500 بيزو... يا رجل! كيف تكون بخير
مع هذه التكلفة؟ لم أكن حتى لأسأل عن سعر سخَّان جديد. ولكن
"ريميديوس" سعيدة، وهذا يكفي. أخذت حَمَامًا ساخناً بعد شهرين من

المياه الباردة الإجباريّة، ثم تشاركنا كلنا في العشاء. أرّنتي "سول" كيف
تصنع عجينة البيتزا، ونادتني بـ"الأستاذة" حتى لحظة انتهاء الزجاجاة
الأولى. بينما نعجن العجينة، قالت لي:

- يعلم الرّبُّ أن النبيذ هو كل ما تبقى لي في هذه الدنيا.

قطعت البيتزا شرائح، وملأت "سول" الأكواب، قالت "ريميديوس":

- حسنًا.

ونظرت إلى "سول":

- حسنًا، ما رأيك؟

رفعت "سول" كأس النبيذ البارد، وقالت:

- أصفر باهت، مع بصيص من الأخضر المعدني.

وجدتُ الاحتفال فاتنًا. ابتسمت "ريميديوس"، وأمسكت "ميلاجروس"

بالشراب تحت الضوء، ثم تشمّمت "سول" النبيذ مرّة، وحركت كأسها

بقوّة، ثم شمّتها مرّة ثانية. صارت مُستعدّة لإصدار حكمها.

- قرفة، وأناناس، مع نكهة خفيفة واضحة من الفانيليا.

وضعنا أنوفنا في أكوابنا، بحثًا عن القرفة، بينما أخذت "سول" رشفة صغيرة، وقلبتها في فمها لبضع ثوانٍ، ثم ابتلعتها.

- إنها طازجة، وفخمة جدًّا، وذات مسحة من الفاكهة البيضاء.

فسألت "ريميدوس":

- فاكهة بيضاء؟!

فأجابت:

- الخوخ، وجوز الهند.

وافقنا جميعًا، وصفرتُ بطريقة غير لائقة على مائدة العشاء. أكلت "ميلي" ثلاث قطع. شربنا نخب "سول" الشيف. بعد ذلك، سألتها: أين تعلّمت فن الطعام والنيذ؟ فقالت: في السفينة أو الميناء، لم تستطع أن تتذكّر. وضحت "ريمي" أن "سول" كانت أوّل مُمرّضة أرجنتينية تعمل في السُّفن التجاريّة، وسافرت العالم كله على متن السُّفن. فأضافت "سول":

- حتى فقدت كل شيء.

البيتزا هشة ولذيذة. انتهت زجاجة النيذ تقريبًا. ضحكت "ميلاجروس"، وقد بدت أكثر تورّدًا من المعتاد. قالت لها "سول":

- هذا أجمل ما في النيذ.

وملأت لها الكأس مرّة أخرى، بينما أنا أساعد "ريميديوس" في تقديم البيتزا الأخيرة، وهي تقول:

- الحياة أقصر من أن نُهمل الطعام الجيّد.

الزجاجة الثانية من نوع "بينو نوار". في هذه المرّة، تخلّت "سول" عن مكانها لـ "ريميديوس"، التي أخذت وقتها لتصف النبيذ بأنه "أحمر داكن كالكرز، مُشرب بلون الياقوت". وافقتها "سول":

- أنيقة، بنكهة الفاكهة الطازجة والتوابل.

كانت "ميلاجروس" الشخص الجادّ الوحيد. فقالت وهي تنظر إلى "سول" وتغمز لي:

- تبدو خفيفة وطازجة، ولكنها في الحقيقة بها تركيز خفي، مثل واحدة من هؤلاء الفتيات التي تظهر فجأة في حياتك وتلتصق بك، وتنتهي بأن تجعلك في مُنتهى الصّحة والسّعادة.

فكرتُ في "إليسّن". وافقنا كلنا، ما عدا "ميلاجروس"، التي قامت كي تغسل طبقها. شربنا ثانيةً، ولكن هذه المرّة في نخب "ريميديوس". باحت لي "سول"، وقد أسقطت الآن كلمة "أستاذة":

- تعرفين يا حلوتي، لقد فقدتُ كل شيء، كنت في عنبر للأمراض النفسية، أحسستُ بالجوع للغاية، عِشتُ في الشوارع، والشخص الوحيد الذي أعطاني شيئاً لآكله، والشخص الوحيد الذي آواني هو هذه المرأة. لم تدعها "ريميديوس" تُكمل كلامها، وصاحت أمرَةً:
- هيّا يا "سوليداد"! حان وقت الاغتسال.
نظّفت الطاولة وأنا مخمورة تماماً.

في اليوم التالي للحفل (السبت) تعطلَّ سخَّان الماء مرَّةً أخرى، فلجأنا للماء البارد مُجدِّدًا، لم تكن "ريمي" سعيدةً بهذا الوضع. غادرت "ميلاجروس" المنزل بحقائبها. أما بخصوص "مارتن"... فلقد ضحك علينا كلنا. كانت فكرة جيِّدة لي أن أذهب إلى المكتبة. أفلحتُ أخيراً في الانتهاء من قصّتي من هذا الأسبوع. أمني رأسي طوال اليوم. أتمنّى أن يكون هذا ما يُسمونه بدُّوار الخمر.

الجمعة... "إلليسن" مع قيثارتها، مثل سرب النَّحل الطَّنَّان في رأسي. لم تتَّصل، ولم تكتب. بعد العشاء، ساعدت السيدتين في أربطة الأحذية ووضعهما في علب. معظمها أسود، وأبيض، وبُنِّي؛ فالوردي، والأخضر، والتركواز، والأصفر لا تُحقِّق مبيعات مقبولة. إنها بسيطة بشكل جميل وصلدة، وطويلة، وقصيرة، وسميكة، ونحيلة، وقُطنية واصطناعية. تقريباً عادية جداً. تمشي "ريميديوس" و"ميلاجروس" لمسافة مباني وهُما

تحملانها على ظهريهما. كُنْتُ على وشك أن أتخلَّص من سُئطِ تسوُّق
جَيِّدة حصلت عليها من بوتيك حينما سألتني "ميلاجروس" إذا كان من
الممكن أن أعطيها إيَّاهَا بدلاً من ذلك. إنها تستخدمها كشنطة يد، فقلت
لها:

- بالتأكيد.

وهربتُ كي أصنع القهوة. تحب "ريميديوس" القهوة الباردة القليل
والسُّكَّر الكثير. أضأتُ النور، وكانت هناك صراير تهجم على السُّكَّر.
قُلْتُ:

- يا للقرف!

ولكن بهدوء. راقبتني "ميلاجروس" في صمت. فرَّغتُ السُّكَّر، وغسلت
البرطمان، وملأته مرَّةً أخرى، ولكن هذه المرَّة وضعتُه في الثَّلَاجَة. وقالت لي:
- أمر محتوم أن تعيشي مع جانب الحياة القبيح.

بدا لي تصرُّيحها كأنه هزيمة.

سأرحل غدًا، أنا خائفة. لم تتَّصل "إليسن"... اشتريتُ بعض الفطائر
للعشاء. "ميلاجروس" أمام الكمبيوتر، و"ريميديوس" تُعدُّ زجاجتين من
النيبذ. إنها تقاوم الصدا تمامًا. تتمسَّك بسلاسل الذاكرة وتنجو. كان من
الممكن أن تُصبح "موديل" للرَّسام "كليمت" بشعرها الدَّاكن. إنها تمتلك
قُوَّة النَّهر الذي يستمر في الجريان حتى يصير شللاً ويُهيمن. أستطيع أن
أتخيَّلها وهي في العشرين، أو الثلاثين، أو الأربعين، تغزو شوارع جينيف،

وفيينا، وبراچ، عازمة على ترك المقبرة الجماعية وراءها والخروج من بين الأحجار. ظلَّت تُسافر حتى الآن لدرجة أن كل شيء لديها تكدَّس في ماضيها. على الجانب الآخر، ظلَّت "ميلا جروس" في وضع راحة، مُقيِّدة بظلِّها، ووجهها مائل في خضوع مثل الطفل اليتيم المُطيع. تدفع "ريمي" المصاريف، و"ميلاجروس" تقوم بالتنظيف. "ريميديوس" تتكلَّم، و"ميلاجروس" تلتزم الهدوء... "ريميديوس" تشهق، و"ميلاجروس" تزفر. غسلت أسناني بالفرشاة. كُنْتُ دخيلة هنا، وما زلتُ أشعر على نحو غريب بأنني في بيتي. يبرز صرصار آخر من البالوعة، ولكنه ضخم في هذه المرّة. فأقول لنفسي: "أمر حتمي"، وأقتله، ثم بعد ذلك، أُطفئ النُّور.



الحُبُّ من النَّظَرَةِ الأُولَى



كان على "سيليا" أن تبحث عن شقّة؛ أوّلاً؛ بسبب أن المكان الحالي صغير. وثانياً، وبشكل أساسي، لأن عليها أن تُخلي مكانها في غضون أسبوعين. إنها مُماتلة؛ فهي دائماً ما تُوجد عمل اليوم إلى الغد، على عكسك؛ إذ تنظم كل شيء مُسبقاً. ولكنَّ آخرين يُجبرون على تجنُّب مسؤولياتهم الخاصّة لِيساعدها، دائماً يُشاركون في فشلها، ولكن لا يُشاركون أبداً في نجاحها. إن قُدرة "سيليا" على التَّغلب على التَّكسات الناتجة عن افتقارها إلى التَّنظيم أعطاهَا إحساساً مُثيراً بالخُلود، جعلها طموحة، وعنيدة جدّاً لدرجة أنها لا تقتنع بأيّ تصرُّفٍ آخر. لكنه شعور بعيد تماماً على أن يجعلها تندم.

وكان ذلك رائعاً لك بشكل كبير؛ لدرجة أنك وجدت نفسك مُكلِّفاً بالبحث لها عن شقّة في باريس، تُرتب المواعيد والجولات بنفسك. كنت تتصل بها في العمل فقط إذا وجدت شيئاً مُلائماً، والآن يبدو أنك وجدت

شقة مفروشة في "سان جيرمان دي بري" بالقرب من "ليه دو ماجو"، ومقهى "سارتر"، و"سيمون دي بوفوار" الأسطوري. لقد كررت هذه التفاصيل بصوت عالٍ، وابتسمت، عالماً بأن "سيليا" لم تكن لتهتم بأي شيء عن هذه الفترة التاريخية. في الواقع ستفخر بعدم معرفتها. فمعرفتها بالقراءة ضئيلة كمعرفتك انت بالهندسة المعمارية.

كلاكما وصل إلى البيت المُتهالك، وإن كان لا يزال أنيقاً. يداً في يد، أخذتما المصعد البطيء خلال الأدوار المظلمة التي لم تمسسها الشمس، كان الهواء العفن مُتعطناً، لدرجة أن "سيليا" بدأت تعطس. عندما بدأت تتهدى في الطابق السادس، مُستعداً تقريباً للاتجاه إلى الشقة، غمر الضوء المُتوهج المُنبعث من الشقة الممرَّ مُسلطاً الضوء على خيال امرأة عجوز محنيّة الظهر ولها شعر كثيف أشيب. ترتدي نظارة ضخمة، وغارقة في رائحة الماريجوانا القويّة. تحرّكت بدافع الفضول أكثر منه بالاهتمام، ودخلت غرفة مُضاءة بشكل جيّد ذات جدران صفراء. بدا الأثاث من العشرينيات، كأنه مُرتّب بغرض التقاط الصور له؛ فالكراسي الأنيقة، والطاولات ذات الأرجل المعدنية، والأرائك الجلدية، والخدائيات المُقلّمة كالحمار الوحشي. كل ذلك أعطى الغرفة جوّاً مُتحف للفن الحديث؛ وتعتقد أنها موضوعة بشكل لا يجعل المكان يبدو أنه صالح للسكن. والمرأة، التي يظهر شعرها الآن تحت الضوء بأنه شعر مُستعار مُترهل،

شدّت نفسًا من سيجارة، وهي تقول مبلغ الإيجار الشهري. لم تكن في حاجة إلى أن تنظر إلى "سيليا" لتعرف أنها كانت سعيدة، وأنها كانت تريد الشقة بتجهيزاتها الـ"آرت ديكو"، ولكنك تعرف أيضًا أنها لا تتحمّل التكلفة. تنهّدت وأنت مُتعب من البحث. وذلك حينما أخذتك "سيليا" من يدك وصرّحت بالشيء الوحيد الذي قُدّم لك في هذه الحياة:

- ما رأيك في أن تعيش معي؟

في الواقع لم يكن ذلك مصارحة بحبك؛ فلستُ من النوع الذي يتزوَّج، أو مَنْ يضع حُططًا، كانت أبعد ما تكون عن المرأة المثالية، ولكنك لم تستطع أن تقول لا.

مع مرور الشهور، تساءلت ما الذي كنت تفعله في هذه الجولة المثيرة، أنت الذي لم تحب الصّراخ، ولا المُرْتفعات قط، لم تكن من النوع العفوي، وليس لك دوافع مُلحّة، ولا حتى إذا تعلّق الأمر بالجنس. الشيء الوحيد الذي أحببته في الشقة هو "سيليا"، لا الأسقف المصبوبة، أو النوافذ العالية، أو الأرضيات الخشبية. كل التفاصيل المعمارية لم تكن لتربطك بذلك المكان، وعلى الرغم من هذا بذلت قصارى جهدك لتتذوَّق الفن في الشيفونية المشهورة، وزهور التوليب الزجاجية في الحمّام. لقد أحببت صوت "سيليا" العميق وهي تُغنّي أغاني "البلوز" في بعض الليالي - التي

أصبحت أقل - عندما تسترسل في الغناء على الجيتار، وتنسك تمامًا. استمتعت بصحبتها في الوقت ذاته الذي تُبعد فيه جسدها المثالي بعيدًا عنك، كلاكما ينام هادئًا على السرير. وفوق كل ذلك لقد أحببت الطريقة التي تُحوّل كآبتك إلى تفاؤل، وتسحبك إلى الحياة، فقط من أجل مُتعتها، دون أدنى تفكير في المُستقبل، أو اليوم التالي، أو حتى الثانية التالية. أحببت "سيليا"، و فقط "سيليا"، أو بالأحرى فكرتك عنها.

و"سيليا"، على الجانب الآخر، ضايقها أسلوبك العادي في الجنس، والذي وصفته بسخرية أنه "مُمل"، حيث لم تستطع تعريفه بشكل آخر. لقد جاءت إلى غرفتك، وأخذت كتبك بعيدًا، وصعدت فوقك، وفكّنت سحابة بنظولونك، فقط لتنهض فجأة من عليك بعد لحظة، تزداد غيظًا:
- أووووه! أنت مُمل!

ثم تفرض حظرًا على الجنس، الذي ينتهي بتحمُّلك له أكثر من تحمُّلها، لأنك لم تفتقدها. ولعلّ هذا كان أكثر الأشياء استفزازًا منك؛ بأنك لا تفتقدها. خلال تلك الأيام أو الساعات، يصبح الزمان والمكان أخيرًا ملكًا لك. لا أحد يلمس كُتُبك، ولا أحد يفرض رغباته الحرة على نظامك الروتيني. لقد استمتعت بفترة استراحة من الحصار، وتخيّلت أنك تمشي راجعًا إلى البيت من المكتب ولا تجد أحدًا في انتظارك. يبدو الأمر كما لو

أنك، مرّةً أخرى، تسيطر تمامًا على كل ما تمتلك، بما في ذلك فوضاك وصمتك. فوق كل شيء؛ صمتك. كانت "سيليا" تصرخ دائمًا؛ سواء كانت مسرورة أم غاضبة، فهي تصيح، لكنها عندما تزداد غضبًا، عندما تغضب فعلاً، فإنها لا تتكلّم معك. وبعد ذلك، تكره حينما تستخدم المُصطلحات الأدبيّة، "باريس وليمة مُتنقّلة". وصل إشعار من مُحامي مالكة الأرض، يعلمك بأنها ماتت. حزنت "سيليا" عندما تذكّرت الشعر المُستعار. قالت:

- لو كنت ابنتها، لأحببت الاحتفاظ به.

نظرت من أعلى كتابك، فعرفت بذلك أنك كنت تستمع، ولكن لم ترد.

فاستمرت:

- نعم، كنت سأضع باروكة على أحد رؤوس هذه المانيكانات،

وأمشطها بحب كل ليلة.

شعرت بحاجة مُلحّة أن تقول لها اسكّتي، أو تتركك وحدك، ولكن لم

يستحق الأمر العناء. استمررت في القراءة، مُستلقّيًا على إحدى الأرائك،

مُتوسّدًا إحدى الخداديات المُقلّمة كالحمار الوحشي.

ذكر الخطاب الأطفال الذين يريدون أن يبيعوا الشقّة التي ورثوها،

ووضح أنه طبقًا للقانون الفرنسي، يحقُّ للمستأجر الرّفّض الأوّل. في هذه

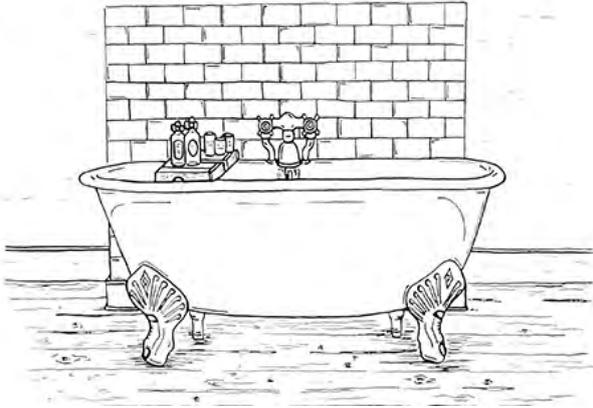
المرة، لم تقل "سيليا" شيئاً، ولكنك لم ترغب في النظر إليها لتعرف ما كانت تُفكّر فيه. كنت تعلم مدى حُبّها للشقّة؛ العُرف المُشرقة مُجدّدة الهواء؛ الأباجورات، منظر أسطح المنازل الباريسية، العُرف العلوية والسندرات. قالت "سيليا" بتنهيدة:

- ينبغي أن نشتريها، أتخيّل ذلك؟
وكنت أنت خائفاً من أنها أوشكت أن تقترح.



تركيب الملح

إلى والديّ



لم يشعره العرق بعدم الارتياح إطلاقًا مثلما فعل معه البُكاء. لا يستطيع تذكُّر متى أحسَّ بالامتنان للحيته من قبل، فاللحية الكثيفة التي سبَّبت له التَّعَرُّق بشكل مُزمن تساعد الآن ليُخفي شفته المرْتعشة. طوال حياته يتعرق بغزارة، فقمصانه مُبلَّلة بالعرق، وشعره كذلك، ولكنه لم يستهلك مناديلَ ورقية كثيرة من قبل... "دكتور، إنني أبكي طوال الوقت"، قال ذلك، وهو يُفكِّر في نفسه بأنه إذا استطاع سيذهب إلى المستشفى المثالي الذي في السماء ليستبدل افتقاره إلى ضبط النفس بأي مرض آخر. هناك شيء غريب يحدث له. لماذا يغيِّر التَّقدُّم في السَّن بهذه الطريقة؟ لا يمكن أن يحلم العديد من الرجال بتقدُّم العُمر، ولا بد أن هناك قَلَّة ممن اشتاقوا إلى التقدم في العمر منذ طفولتهم، كما فعل هو. ففي سن السادسة عرف أنه أراد أن يكون جدًّا، والآن، عندما أصبح أخيرًا جدًّا، صار يفسد كل شيء ببُكائه.

إنه يمتلك ذاكرة قوية. لقد نزلوا من الباص بعد وصولهم إلى "لاباز" من المنجم. احتفظت المدينة بتلك القوّة الغريبة التي تعقب العاصفة الثلجية؛ كانت التّلال يكسوها اللون الأحمر اللّامع، والهواء أكثر برودة، وأكثر شفافية. ومع ذلك، ولأن الشمس في ذروتها، شعروا بالعطش. قاده جدّه من يده إلى ناصية لشراء "التاياشا"؛ أوّل حلوى محلية باردة يتذوقها مصنوعة من نبات "الماشوا" الدرني بالسُّكَّر. سأل ما هذا الشيء العجيب، فأجابه الرجل العجوز باختصار:

- إنه نبات "الماشوا".

ويده الضخمة تمسك بيده بإحكام، ولكن لا تسحقها. إنها يد دافئة ومريحة، يد رجل. تشبه نبات "الماشوا" في شكلها، وتُشبه الآيس كريم. ترك جدّه يده لكي يريّه كيف يأكلها، وأعطاه غمزة تشجيع. جعلت "التاياشا" يده باردة، فقال:

- مزيد من السُّكَّر.

- هل يكفي هذا؟

ذابت الحبيبات البيضاء مع الطعم المنعش الذي ملأ فمه. لفحت الشمس وجهه. فقال الرجل العجوز:

- لذيذة، صحيح؟

فأوماً برأسه، مُمسكاً بيده بقدر ما يستطيع من قوّة. غمرته الذكريات عن جدّه. يخبر نفسه: "إنني أتصرّف كفتاة" كلما نظرت في المرأة باحثَةً عن أي تغيير جسدي. تبكي النساء بمعدّل شهري، أو سنوي، بل في كل الأوقات. قال لزوجته:

- سأذهب للطبيب، وأطلب منه أن يُعطيني حقنة هورمون ذكورة. ضحكت. نظر إلى زوجته، وأجبر على التّخلي عن نظرياته الفسيولوجية. كانت امرأة قوية كالحيوان الأصيل، ولا تبكي مطلقاً، ولا حتى عندما مات ابنهما الصغير. كانا شابّين عندما سقط ابنهما من النافذة، قافزاً من سرير إلى سرير، فقد توازنه، واصطدم بالنافذة، وساعدت الجاذبية على سقوطه، بقوانين الحركة، بالفيزياء، فسقط من طوابق عديدة وتهشّم على الأسفلت. ومع ذلك، لم يتضرّر جسمه الجميل، وكان وجهه الحلو غير المُضطرب يحمل لمحة من اللعبة النهائية؛ من صحوته الأخيرة كملاك. لم يكن البكاء مُمكنًا في ذلك الوقت، فالْبكاء يشبه رمي طحالب البحر فوق سطح المحيط المتجمّد المالح والذي سيذوب بالتدرّج ثم سيغرقهم جميعاً، واحداً بعد الآخر، ولم يكن يسمح بأن يحدث ذلك. فالْبكاء، بكل تأكيد، بمثابة ترك ابنه يغرق في المياه المظلمة ووضعه على صخرة كي يتمكّنوا

من رؤيته هناك، الأعين مفتوحة، أسفل في الأعماق. لماذا ينبغي أن يبكي
الآن؟ قالت لكي تبهجه:

- أُحِبُّ عينيك هكذا أفضل، لك عينا بحّارة، عينا مُحيط.
فردّ مُمجراً:

- اللّعة على المُحيط، لقد فقدناه في حرب المُحيط الهادئ!
اعتادت أمُّه في طفولته أن تقضي الليل بإخباره قصصاً عن المُحيط
الهادئ، مُلوحتة، وُبرودته، وأسراره. أحياناً تهزُّه لينام على صوت المحيط
الذي يسمعه في صدفة الحلزون.
- لا أهتمُّ، لك عينا محيط.

لم تنزعج زوجته من بُكائه أو من عينيه الحمران دائماً. بل
حسدته، تمّت لو أنها تعلّمت البُكاء، ولكنها لم تستطع. لم تُخلق
لتذرف دمعة. لقد أنشأ معاً في قلبيهما قلعة من القرون الوسطى
من التقشُّف والشجاعة لا ينقصها الإرادة، ولا الحب، والشعور
بالذنب، والأقل من ذلك كله ولا الحزن. بهذه الطريقة، تمكّنا
من شقّ طريقهما في الحياة بهمة، ولكنهما لم يخضعا تماماً
للفرح. وهكذا كانا في حُزن أحياناً، وفي غموض أحياناً أخرى، وفي
عُزلة تمنعهم من استقبال أي شيء. والشيء الذي يمكن بالكاد

استقباله هو عناق واهتمام الناس به، دون سؤال في البداية، وبحميمية مُزعجة بشكل مُفرط، مُجرّد أنه يبكي.

نصحه الطبيب بألا يقلق:

- البكاء شيء صحيّ.

- فلتذهب الصّحة إلى الجحيم يا دكتور. أنا أكبر سنّاً من أن أكون

بصّحة جيّدة.

إنه خطأ في الحسابات. لقد توقّع أن التقدّم في العُمر سيقوده إلى حالة هادئة، ليس العكس. من أين جاءت هذه البهجة الروحية فجأة التي جعلته يشهق ثم يبكي؟ تلك القُدرة التي ظهرت مؤخراً والتي يمكن التغلّب عليها بأي شيء؟ أسوأ شيء هو التّفاؤُل العلمي الذي هزمه وأوقعه في شباك التشخيص القائل إنه لا يحمل مرضاً، وإن السبب يكمن في أعماقه. وهو شيء ليس كالأم في الرّأس أو عيب خلقي، فقد أوضح الدكتور أن دموعه لم تكن تتدفّق بشكل مُستقل عن عواطفه. الدموع لها معنى، ولا تأتي من دون سبب. قال:

- المشكلة أنني أتحوّل إلى مُخنّث.

صحّحت زوجته قائلة:

- بل المشكلة الحقيقية ستكون لو ظهرت عليك مُتلازمة مُواء القطط،
التي تحدّث عنها الطبيب. تخيّل لو أنك لا تستطيع التوقّف عن المُواء
بدلاً من البُكاء! ما كنت سأنام لحظة.
ضحكا معاً.

لكن المشكلة استمرّت، فكل شيء يدفعه للبُكاء. ذات مرّة بعد الظهر،
ذهب إلى مدرسة حفيده لحضور مناسبة ما، وبمجرد أن وضع قدمه في
الفصل، حدّد رائحة طفولته بوضوح؛ رائحة هذه المكاتب الصغيرة!
فاضطر أن يغمض عينيه بشدّة ليمنع الدموع من التدفّق. ترك المدرسة
مُشمئزاً وغازباً من نفسه، كان الجوّ مُمطراً في الخارج. في اللاتينية،
الفعل الذي يُعبّر عن البكاء plorare يشبه الفعل الذي يعبر عن هُطول
المطر pluvial. كان صوت المطر كصوت الصُراخ، مثله مثل العاصفة التي
جرفته إلى خارج الطريق؛ إلى الطُّرُق المُختصرة، والحواري المُحافظة على
الخُلُو من خط السيارات التي تشبه الشرائط الورقية الملونة، مثلما نجد
في وسط البلد بمجرد أن يحل الشفّق على المدينة.

لقد ساعده المشي. فعبّر دون وعي من الأسفلت إلى الشوارع الحجرية
القديمة، شعر أن متاعبه تستنزفه تدريجياً مع كل خطوة، بينما بدأ يرى
أمامه أكشاك النساء الهنديّات العجائز يدعونه ليقرأن له البخت في أوراق
شجر الكوكا. أصابه البخور ونبات المر بالنعاس، والدُّوار من الألوان

الأرجوانية للأغلفة الصوفية اللامعة للحلويات. لقد كان في سوق الساحرات. استطاع أن يتبين أعشاباً متنوعة، علاوة على اللأما الصغيرة المحنطة، والهاون الحجري ومدقّاته. التعاويذ والتّمائم ترقص في مَهَبِّ الرِّيح. تذكّر أن "لوكوثيا" دفنها أبوها حيّةً، عندما أغضبتة علاقتها مع "أبوللو". وأراد "أبوللو" أن يُكرّم الأميرة الميّتة، فنقلها إلى شجرة لبان الدّكر المزخرفة. غمغم: "كان الإغريق حُكماء، ولهم مهابة"، أو بالأحرى كانوا حُكماء مُروّعين، وابتسم.

على بُعد خطوات قليلة، لافتة من حجر الإردواز، حملت إجابة لقلقه. الكلمات مكتوبة بطباشير مُلوّن بيد غير دقيقة أكثر من كونها صيبانية. قرأها "علاج للرُّعب الروحاني، حمّامات تطهير للفرح"، ودخل غرفة مظلمة ذات جدران مُرتفعة من الطوب اللّبن، حيث أعطته امرأة مُسنّة مُنحنية الظّهر وصفته الطّبيّة؛ حمّام في المُحيط وعيناه مفتوحتان. فسألها بسُخرية لربّما لا تعلم أنهم يعيشون في بلد غير ساحلي، ولكنها برباطة جأش لم تُجب عن السؤال. فغادر، وهو يُفكّر في حفيده وزوجته، والمُحيط. كان مُبلّلاً فبدأ يشعر بالبرودة. غطّى الليل، كملاءة كبيرة، المدينة. صار تعيساً مرّة أخرى. ماذا يمكنه أن يفعل؟ لماذا فجأة لا يستطيع التنفّس بسهولة؟ ما الذي يحتاج إليه لكي يتغيّر ويتخلّص من الانهيار العصبي؟ بدأ يخجل من أفكاره، وأحسّ بضرورة الاعتذار، لكن

زوجته ليست معه، ولن تكون في البيت إلا مُتَأَخَّرًا. في النهاية صارت هي الشيء الوحيد الذي يهّمه.

في تلك الليلة، في الشقّة المظلمة، بينما يستعد ليأخذ حمامًا ساخنًا تجنّبًا للإصابة بالبرد، بدأ يعتقد أنه فهم ما أرادت المرأة المُسنّة إخباره به. لا يهم الذهاب إلى المُحيط، طالما أن لديه ماءً مالحًا. لذا أسرع إلى المطبخ مُتحمّسًا، ثم عاد وألقى بعلبة كاملة من الملح المجروش في الطّشت. كانت زوجته ستوبّخه، يعرف ذلك، ولكن لا يهم ذلك. توقّف لحظات قبل فتح الحنفيه. لم يكن يعلم على وجه اليقين إذا كان ينبغي أن يكون الماء باردًا أم ساخنًا، لكنه استقرّ على السّاخن. قال لنفسه: "لنفترض أنه الكاريبي". لقد طمأنه منظر الطّشت المملوء بالماء. كما لو أن الواقع قد مّاسك بثبات. وقف عاريًا بجانب الطّشت، ودخله بسُرعة، وهو يحنّ للّبكاء تحت الماء. وأحسّ بأنه يعلم من أين أتى كل ذلك، وكان مُستعدًا لمواجهته. ثم غمر نفسه في الماء المالح وعيناه مُغلقتان. انتظر حتى استعدّ ليفتح عينيه، ثم فتحهما، لكنه لم يرَ ابنه في أي مكان. رجع إلى السطح يائسًا. أخذ نفسًا عميقًا، وبدون تفكير، غمر نفسه مرّةً أخرى، باحثًا عن صورة، عن أي شيء له معنى، لكنه في هذه المرّة لوى نفسه إلى الجانب الأيسر، وظل هكذا لفترة طويلة، حابسًا أنفاسه. كان الماء لا يزال دافئًا عندما بدأ يهتز على صوت المُحيط البعيد المحفوظ في حلزون المحار.

الشَّريط الأَحمَر



وصلت "ناتاليا" إلى البار مُتأخِّرةً، كُنَّا نسمح لها ببعض التَّأخير؛ لأنها تأتي دائماً بقصَّة. هذه المرَّة لم تعتذر أختي عن التَّأخير؛ لأنها تعلم أن ساعة أو اثنتين لا تمثلان لنا أهمية كبيرة. على أي حال، نحن العاملين في الصحافة والمُحاماة المحلية لا يمثّل الانتظار لنا مشكلة. جلست وبدأت تتحدَّث (وهو حدث نادر، إذ إنه من العادة أن تجلس في هدوء وتستمع لـ"جابريل" الذي يطغى ذكاؤه على كل شيء وأي شخص آخر). أحبُّ نبرة صوتها. لا أدري ما السر في نبرتها الناعمة وغير المُكترثة التي تُهدِّئني. غير أن هذه المرَّة لم يكن صوتها صافياً، لقد غادرت الصحيفة تَوًّا، وما زالت تتألَّم من تغطية منتصف الليل الصحفية. صاحت:

- تم القبض على رجل.

بدا القلق على "ناتاليا"، فسألناها إذا كان الرجل بريئاً، فردَّت

بأسلوب يُشبه الاعتذار:

- لا أعرف.

وأمسكت يد "جابريل" بيدها، وأخبرتنا بما تعرفه من حقائق:

- لقد تُوِّجت "ريبيكا" ملكة الكرنفال، و"ريبيكا" الآن ميّنة.

أخذت "ناتاليا" صورًا فوتوغرافية عن مسرح الجريمة والموكب. وهكذا كُنَّا قادرين على تصوُّر ذلك الكرنفال الرخيص، الذي أقيم عشوائيًا وسط التراب والقمامة في ضواحي المدينة. لم تكمل شهرة "ريبيكا" خمس عشرة دقيقة حتى؛ إذ تم قتلها قبل مراسم الاحتفال. بينما تحكي "ناتاليا" قصة مملكتها العابرة، تخيلنا مُجتمعًا من السكان الأصليين يعيش في فقر لا يُوصف، مُجتمعًا يُشبه الفتاة، يتَّجه نحو الانقراض دون توقُّف. قبل "جابريل" "ناتاليا" على جبينها، قبل أن تترك أختي يده ثانيةً، وتقول بأسلوب لا يخلو من الدراما:

- لم يتخيَّل أحد ما يُخبئه القدر للملكة، ولا سيما الناس الذين

تُوِّجوها.

كان ذلك اليوم مُشرقًا للغاية؛ مليئًا بالبهجة والحرية والضحك اللطيف. أبرزت الفرنفلة الحمراء المشبوكة في حزام "ريبيكا" عرض رديها في شورتها القصير. كانت في الرابعة عشرة من عُمرها، ولكنها تركت الطفولة منذ زمن مضى. ومن المُحتمل أنها لم تمر بالطفولة نهائيًا؛ أي وُلدت في مرحلة البلوغ مباشرةً. كنت أفكّر، بينما "ناتاليا" تقصُّ ما قاله الخُبراء لها،

بأن الفتاة جاءت من ثقافة مُتحررة جنسيًا. حاولنا أن نفهم ما يعنيه الخبراء من التَّحرُّر الجنسي، فترجمناه على هذا النحو؛ شعب الأمازون، من صيادين، وبدو رُحَّل، ونسَّاجين، الذين يعتبرون الفضائل الجسدية شيئًا أساسيًا. كان ذلك لا يزال مُجرَّدًا جدًّا. تخيلنا صدر الأمومة، والأغاني النسائية، والفتيات الصغيرات ينخرطن في المُتعة الجسدية. قالت "ناتاليا" إنه في عالمهم، الزمان والمكان جزء من تراثهم الشفوي؛ لا تُعتبر الشهوة والاستمتاع خطيئة، بل شيء طبيعي، وحيوي. أخذنا شرحها للحظات إلى الفردوس، ثم إلى الجحيم؛ لأنه عندما يصطدم الواقع الفطري مع حياة المدينة، تصبح الحرية أداة تُجرجر النساء إلى مطحنة العالم. إنه الفقر الذي يطحن كل هذا، في سن صغيرة لا يمكن تخيلها، تُسلم الفتيات الهنديات أجسادهنَّ للأوهام الحالية مقابل لا شيء تقريبًا. سألت:

- مقابل كم بالضبط كل هذا؟

فأجابت "ناتاليا" بلا لباقة:

- باثنين بيزو.

جعلني صوتها المرهق أفكّر في الجليد، بجلدي المُتألّم في البرد، في الثلج وهو يذوب إلى ماء، في "لا باز". على عكس "ريببكا"، لم أتجاوز طفولتي إلا مؤخرًا عندما تبعت أختي إلى "لاباز" للكلية. صحيح إنني لم أكن طفلة

بالتمام حينئذٍ، ولكنني كنت من قرية صغيرة. كانت مُراهقتي في أمان،
وتحمّلتها كأنها مرض ما.

تُعتبر السابعة عشرة متأخرة قليلاً بالنسبة لفتاة في المدينة، ولكن
ليس لفتاة في قرية معزولة جدًّا، وفي الوقت نفسه مُتلهِّفة جدًّا للمرح. لا
أستطيع أن أقول إنني أفرد جناحي مثل الحمامة المُستعدَّة للطيران.
وعلى الرغم من ذلك، كنت أعلم أن الرياح لن تحملني، وأن الجهد
سأبذله وحدي. لم تكن الرِّصانة من شيمي، ولا سيما هذه الأيام، حينما
رفضت التنازل عن حريتي المُتألِّقة بالتخطيط للمستقبل. كانت ستصبح
رحلتي شرسة، ومُتقلِّبة في الهواء، قفزة عنيفة في المجهول، اقتحام
للمدينة، وتشبُّث بكل هذه الأشياء التي كنت أتوق بشدَّة لرؤيتها
وتجريبها. نعم لديّ شياطيني، ولكن لا أحد يُلام على ما حدث إلا أنا.
وعلى الرغم من ذلك فإن "ناتاليا" غالبًا ما تُؤنَّب نفسها لأنها أخذتني
معها إلى المدينة، والحقيقة إن القرار قراري، قراري وحدي فقط. الشيء
الوحيد الذي ألومها عليه هو أنها أنقذتني حين أردت أن أموت. كشطت
بعض الثلج من فوق سيارة ووضعتَه على خدِّي لتبقيني واعية، وتلاشى
كل من الثلج وصوتها شيئًا فشيئًا.

- ماذا حدث يا حبيبتي؟ ماذا فعلوا بك؟ ماذا سأقول لأُمِّي وأبي؟

وأجبتُ:

- لا شيء، عديني.

استمرت "ناتاليا" في قصتها. استقلت "ريبيكا" تاكسي، وسألها السائق عن الوجهة التي تريدها. لقد أخبرت كل هذا لفتاة أخرى، "إنجيليكا"، آخر فتاة رأتها "ناتاليا". أرادت الاثنتان أن تكونا معًا، ولكن "إنجيليكا" كانت حاملًا، ورفض سائق التاكسي أن تتركب... "حامل"، قالها شخص ما، لا أستطيع أن أتذكره، كما لو أنهم لا يُصدّقون ذلك. نظرت بعيدًا تلقائيًا. أكدت "ناتاليا":

- نعم، لم يُرد السائق أن يأخذها في سيارته، على الرغم من أنه كان معها قبل أيام. كان معروفًا في "البامبا".

سأل أحد الأشخاص:

- ما شكله؟

فقال "ناتاليا":

- بدين.

حسنًا، أكثر بدانةً، وبكرش، ومُسْنٌ، وطويل. كانت "إنجيليكا" دقيقة؛ مثل جدّها. أبيض، مثل التاكسي. حلو تقريبًا. من المحتمل أنه دفع أكثر من اثنين بيزو لأن الفتاتين تعاركتنا قليلًا على ركوب التاكسي، وعلاوة على

ذلك اشترى لهما آيس كريم. ولكن بعد ظهر ذلك اليوم، أم بالأحرى نسميه مساءً؟ حوالي الساعة السابعة والسماء ما زالت مُضاءة عندما اختار "الملكة" لأنها الأحلى. كانت "ريبيكا" أكثر من جميلة. يمكنك أن ترى ذلك في الصورة التي أرتنا إياها "ناتاليا". كانت الفتاة ساخنة ومُتوردة ومُمتعة كقلب البطيخة. قال "جابريل":

- ساخنة، لمائة درجة!

تجئني "جابريل"، كالطريقة التي تعبر بها الشارع لتتفادى قول "أهلاً" لشخص تعرفه وتعلم أنه رآك بالفعل. يلمح يديّ بطرف عينه، ويُجيب لما أقوله بالصمت التام، لا أحد لاحظ ذلك باستثنائي أنا و"ناتاليا". عندما كنت طفلة، رأني طفلة مُزعجة مُدللة تثير كلاً من المتاعب والودد. كنت في الرابعة أو الخامسة عندما بدأ "جابريل" يأخذ "ناتاليا" ويخرجها. لم يكونا مخطوبين حينئذٍ، ولكن اعتدنا أن نراهما معاً كما هما الآن. يأتي "جابريل" في المساء كي يُطلق نكاته الساخرة بدقّة شديدة كالنبلة. تبعد "ناتاليا" يدي بعيداً عن وجهي:

- توقفي عن تنظيف أنفك بأصابعك، يا قذرة!

لكنني لم أستطع المقاومة، فأضع إصبعي في فتحة أنفي طوال الطريق. كنت في مهمة أن أذوق الفاكهة المُحرّمة، وأختي في مهمة أن

توقفني عن ذلك. لم يعلم "جابريل" شيئاً عن هذا؛ لأن "ناتاليا" لم تكن تخبره عني، ولكن كيف لي أن أعرف هذا في ذلك الوقت؟ لم يعرف أشياء كثيرة، مثل أن الكلام يجرح. يأتي إلى منزلنا في وقت القيلولة، بينما ألعب على أرضية الفارنדה، منزوية بحذر. يقول:

- أهلاً يا ذات الأنف السائل.

كنت أرى عينيه من أعلى طرف إصبعي، وتتدفق دموعي. لم تستطع

"ناتاليا" أن تتحكّم في نفسها.

صحّت فيه:

- أنت نذل كبير!

لم يفهم "جابريل"، وتلوّت "ناتاليا" من كثرة الضحك:

- إنه يغيظك، يا سخيّة، لا يقصد المعنى الحرفي.

سأل شخص مرّة أخرى عن "ريببكا"، أراد أن يُحوّلها إلى مسألة نفسية.

توقّفت "ناتاليا" وتركت كل منّا يقول نظريته. كيف لي أن أصفها دون أن

أهينها؟ افترضنا أنها مُبتهجة، ومنفتحة، وإلا ما اختيرت ملكة الكرنفال،

ولكن اتّفقنا على أن هناك طرقاً كثيرة لتكون مُبتهجاً. فقد يكون أحد

الأشخاص مُبتهجاً جسدياً، لديه مزاج مُثير، ونشط، أو عدواني قُدّر له

أن يُعاني الحياة ومرور الزمن. وآخرون يمتلكون بهجة أكثر تعقُّلاً، تقريباً بهجة روتينية؛ تلك الصفة تكون حاسمة أكثر مما أن تكون مُقدِّرة، وهو ما نُسمِّيه بشكل مُبهم التفاؤل. واتفقنا على أن "ريبيكا" قد تكون عنيدة بعض الشيء، بمعنى أنها تُصِرُّ على كل شيء على الرغم من الرعب الذي في حياتها. وفي هذه الحالة، بدت أيضاً غير منطقية، ثم مَن يعلم، قد تكون بهجة "ريبيكا" فناعاً، آلية دفاع. من الملائم لفتاة في سنِّها أن تكون خجولة، ومُبتهجة، وحساسة لكل ما هو غير مُتوقَّع. بالنسبة لها، أي شيء قد يكون غير مُتوقَّع؛ الفستان الجديد، طاولة بمفرش، الماء الساخن، الذهاب إلى المدرسة، تلقِّي هدية دون الاضطرار إلى ردِّها. نفدت كلماتنا. قالت "ناتاليا" إنه لا أحد لاحظ فقدان "ريبيكا"، حتى وجدتها الشرطة على جانب الطريق، في الأدغال. لم يبحث عنها أحد؛ لأن "ريبيكا"، كما قالت جدَّتُها، كانت مثل القطة، تختفي طويلاً، ولكن تعود دائماً. تقول "إنجيليكا" إن "ريبيكا" تحب الذهاب إلى الأماكن، تريد أن تتوه. "مَن مِنَّا لا يريد أن يتوه؟" هكذا فكَّرت، وأنا أجلس مع نفسي أكاد أتجمد من مُكيِّف الهواء. فكرت في أنه ربما يكون هذا هو السبب في أنها تحمل معها علبة صغيرة بها الغراء القوي "هركليز" في حقيبة يدها ليساعدها في المواقف الصعبة. عندما تعرَّفوا على جُثَّتِها في المشرحة، لم تعد "ريبيكا" ملكة كرنفال؛ لقد فقدت شورتها القصير، والوردة الحمراء، وشعرها الطويل المُرسل أصبح مثل السجادة القديمة البالية. جسمها مُغطَّى

بكيس من الخيش، ربما جِوَال بطاطس. مرَّرت جَدَّتْها أصابعها على كل جسد "ريبيكا" دون أي دموع كأنها تُؤدِّي طقس ما. تفهَّمت أن الموت لا يتطلَّب تفسيرًا، بينما كان الضابط يُؤدِّي واجبه، ووصل إلى فرضية الشَّنق (لا يستطيع البتَّ بأن الفتاة تم اغتصابها). أخبرت "إنجيليكا" "ناتاليا" بأن جسد صديقتها مُلطَّخًا بالغراء، النوع نفسه الذي في حقيبتها، بكثرة حتى إنه غطَّى الوشم؛ القلب، والسحلية، والنجمة. همست:

- الجسد حزين.

لقد كانت قصيدة "مالارميه" حقيقة. غمز "جابريل" لـ"ناتاليا" لتُغيِّر الموضوع ما دام الأمر انَّضح، لكن سكوتنا شجَّعها على الاستمرار، قال من باب الاعتذار:

- الصحافة مثل المرض المناعي.

فأردفت "ناتاليا":

- تستطيع أحيانًا أن تُطعم نفسك، لكنك أحيانًا تستسلم للمرض. لم تقدر "ناتاليا" أن تمنع نفسها من الجدال مع "جابريل"، على الرغم من أن انتصاراتها غير مهمة؛ كأن تمتلك الكلمة النهائية، أو المهارة في ختام الكلمة، أو لكونها أكثر جاذبيَّةً وسحرًا منه. لاحظت فجأة أنها تبدو مُتعبة. لم تنم بشكل طبيعي لأيام عديدة، وكذلك "جابريل".

حاولت خلال أرقها الطويل أن تُعيد بناء مقتل "ريبيكا"، ولكن لم يكن ذلك ممكناً. في البداية، ساندها "جابريل"، ثم توقّف بعد ذلك:

- اذهبي للنوم، هيّا اذهبي يا امرأة.

ضحك، وضحكنا كلنا، حتى "ناتاليا" التي كانت مُتجمّدةً في ذلك

الوقت، مثلي تمامًا.

عندما فتحوا زجاجتي بيرة وبدؤوا في ملء الكؤوس، فررتُ إلى الحَمَّام. جلستُ على التواليت، مُستريحة للمناخ الدافئ والخانق داخل الغرفة، التي لم يمسهها شتاء البار الصناعي. فقط لمجموعة مثل مجموعتنا يُعتبر الفضول ممكناً، يُتيح لنا الكلام علمياً - بشيء من الكآبة - عن الاغتصاب، والموت دون أن نفقد شهيتنا. قرصت خدي أمام المرأة بعدما غسلت وجهي... "ناتاليا" قوية بما فيه الكفاية أمام هذه القصص. أعلم ذلك جيّداً. كانت هناك من أجلي، تحملني على ظهرها، وتسحبني إلى محطة الباص؛ لأننا لم نمتلك مالا. تُخفّف الحُمى بقطع القماش المُبتلّة، وتُتمتم في صلاتها: "مجنونة، مجنونة لعينة، السلام الملائكي لمريم، المُفعمّة بالنعمة...".

عُدتُ إلى الطاولة، حيث إن القصة مستمرة.

لم يمر من الوقت الكثير، على الأقل من وجهة نظر التحقيق الرسمية، بين اكتشاف جُثَّة "ريبيكا"، وإجبار الشرطة على المجيء إلى بوابات المنطقة المغلقة لتقبض على المجرم. قالت "ناتاليا":

- خمس عشرة ساعة على الأكثر.

كان اختيارها للفعل مُتعمِّدًا؛ فالشرطة فعلاً "أُجبرت" على الحضور لأن المنطقة المغلقة غير مُستعدَّة لانتظار الكشف البطيء لإجراءات التحقيق الرسمية. خمس عشرة ساعة، في بلد قد تأخذ فيه العدالة قرونًا.

قالت "ناتاليا":

- لكن بالطبع لا يكون الوقت في صالح المدان...

لم يحدث ذلك في حالتي؛ كما قال الأطباء، لربما كان كل شيء مُختلفًا لو أنه تمَّت رؤيتي قبل ساعات قليلة. وعلى الرغم من ذلك طاردت هذه الساعات القليلة "ناتاليا". لقد فقدت الإحساس بالوقت، وفي النهاية كان "جابريل" هو الذي أرغمها على مُغادرة الغرفة، استدعى تاكسي وجرَّنا جميعًا إلى المستشفى. كنت شاحبة وباردة كالجُثَّة، كانت أختي قد خارت قُواها، وأخذت ترتعش، اختفت عيناها وراء غشاء من القلق والرُّعب من كل هذه الدِّماء.

في الساعة الثالثة صباحًا، كُنَّا الوحيديين في البار. تكلمَّ المُصوِّر واضحًا الختام للرواية فقال:

- نحن مُعتادون على هذا القرف، فلن يُفاجأ أحد بالسرعة التي سار بها الأمر. ولكن هل تخبريني أنكِ ستقبلين الطريقة التي تعرّفوا بها على القاتل؟

طبقاً لما قاله شهود مجهولون لـ"ناتاليا" بأن النساء كُنَّ جالسات على الرصيف المكسور عندما أتى إليهنَّ ولد. كان قد استحمَّ تَوًّا، قميصه داخل بنطاله، وفي يده لوح خشبي. لم ينطق بأي كلمة تجعلهن يعرفنه، تبادلن بينهن النظرات، مثل الطيور. ابتسم لهن الولد قبل أن يسأل عن "ريبيكا". رددن عليه معاً بصوت واحد، بصياح عنيف، أحدث جلبة:

- رجال سكارى عماهم الكحول يتعطشون للدماء.

عند هذه النقطة، كثَّفت "ناتاليا" الحكاية:

- علَّقوا الولد في عمود إنارة برزت أشعته الصفراء جسده مثل الكشاف. ما حدث بعد ذلك كان درامياً بالفعل، أحاط الرجال والنساء والأطفال بالصبي المصلوب، نافثين غضبهم كما لو كان هذا كرنفالهم، ولكنهم بدلاً من الرقص رجموه بالحجارة، والعصيِّ، والأحزمة باسم الملكة الميئنة.

قال "جابريل" إنه عندما أنزلته الشرطة من العمود، كان شبه ميئت، تهشَّم رأسه وجسده، وهمزَّت ملابسَه. أضافت "ناتاليا" ملحوظة عاطفية:

- لا تزال "إنجيليكا" تحتفظ باللوح الخشبي. أحضر هدية لـ"ريبيكا" لوحاً مقطوعاً لمطبخ جدَّتها. قالت إنه كان نجَّاراً، يبلغ ثمانية

عشر عامًا، طوله خمسة أقدام ونصف القدم. في روايته اعترف بأنه كلف نفسه مرّتين من أجل "ريبيكا".

عندما تحدّثنا، بدا "جابريل" و"ناتاليا" كأنهما مُذيعا نشرات إخبارية في التلفزيون. يُتمم كل منهما على كلام الآخر. فلا عجب إذا كان لديهما ثلاثة أطفال. ليس واحدًا، بل ثلاثة. وفي كل مرّة تصير فيها حاملًا، تنظر لي أختي بعينين تشعران بالذنب، كما لو أنها تريد أن تُجنّبي أيّ أم، على الرغم من إخباري لها بالأقلق، فأنا سعيدة من أجلها. قالت "ناتاليا":

- لا يتوقف العمل في أي جريدة طوال الوقت.

قالت ذلك قبل مواعيد الإغلاق مباشرةً. في تلك الليلة، عندما أرادت تقديم ملفها الشخصي عن القاتل دون أن تُصدّق كلمة. قالت لرئيس تحريرها:

- كان يمكنه أن يكون من المتفجّجين الأبرياء.

ولكنها اعترفت لنا بأنها لا تعرف. ارتسم على وجهها التّدم، على الرغم من إذعان كلماتها. لقد أدّت عملها. وكل من تحدّثت إليهم... "إسحاق شينجانو"، و"سول روسالس"، و"روك باندو"، و"خوان بوستوس"، و"جوانا نومين"، وكيل النيابة، والمُحقّق، وزعيم القرية، وجدّتها... كلهم أخبروها بأن القضية أُغلقت، والمنطقة قالت كلمتها، وأن العدالة أخذت مجراها؛ لأنه تمّ القبض على المُجرم. قال "جابريل":

- كانوا في أمسّ الحاجة إلى إلقاء القبض على أي شخص.
التضحية بأي شخص ستُعيد المياه إلى مجاريها، وتجعلهم يستأنفون حياتهم. فكّرت: "شخص ما يُنقذهم". بالضبط كما أنقذتني "ناتاليا".
بالضبط مثلما تُريد الآن؛ إذا تحاول أن تُقنع "جابريل" بأن يسمح لها بأن تنجب لي طفلي.

أخيراً، أوقفوا المكيّف، عندما فعلوا ذلك، ساد صمت واضح ومُجلجل.
شعرتُ بأن الأضواء أضيئت في الغرفة المُظلمة. سألت "جابريل":

- كيف عرفوا أنه الجاني، ما الدليل؟

فأجابت "ناتاليا" بابتسامة مريّة:

- عرفوا أنه هو لأنهم ربطوا قدم "ريبيكا" اليّسرى بشريط أحمر،

لإحضار القاتل، وكان هو أوّل مَنْ أتى وسأل عنها.

سألتُ بشكل ظالم، كما لو أن أختي من المُفترض أن تعرف إجابة كل

شيء:

- وماذا فعلتِ بعد ذلك؟

ردّت "ناتاليا":

- كتبت قصّتي بأفضل ما يُمكنني.

الفتاة



1

غادرت الفتاة الطَّاولَة على عَجَلٍ، وعلى الرغم من أن الآخرين ادَّعوا
اللا مبالاة، لم يستطيعوا إخفاء قُضولهم فترةً طويلة. مع وصول العشاء
لنهايته والأكواب شبه فارغة، التَّفُّوا حول الموضوع الذي ظلَّ دون
مساسٍ، ولا مفرَّ منه... "إيدا" مثلاً، لم تستطع الانتظار لفتحه، فقالت:

- حسناً، يبدو أنك كسرت القاعدة هذه المرَّة، أليس كذلك؟
ارتعدت شفاههم. قال "بلاس" بابتسامة قهرية:

- ليست بمشكلة كبيرة يا "إيدا".

وأخبرها "دوك":

- أنتِ مُتزمِّتة!

- ها أنت تعود للنقطة نفسها! لا نستطيع أن نقول أن شيئاً ما قدر
ما دُمت أصبحت عالمَ بيئةٍ.

"عالمَ بيئةٍ" هي الكلمة التي تُطلقها "إيدا" على أي شخص يكون على

حقٍّ سياسياً. في الآونة الأخيرة، أصبح هذا الأمر يُزعجها، كما فعل "دوك"

نفسه. سألها "دوك":

- قولي الحقيقة يا "إيدا"، ما أكثر شيء يُزعجك؟

أضاف بنبرة قوية:

- الوشم، أم لأنها إسبانية اللسان؟

نظر "بلاس" الذي كان يلعب بالمنديل الورقي ليعرف مدى تأثير

الكلمات على "إيدا":

- لا تُبالغ.

والتفتت "إيدا" إلى اليمين، لمست على نحو خفيف يد "بلاس"

المُمسكة بالمنديل.

- "بلاس"، سامحني لأنني قُلْتُ ذلك، ولكن هذه البنت حقيرة، انتهى

الكلام.

- انتهى الكلام؟

ضحك "دوك"، وربت على كتف "بلاس":

- لا تؤاخذها! البنت مُدخّنة شرهة، يا رجل. وشيء آخر...

وفي هذه المرّة، رفع حاجبه الأيمن، ونظر مباشرةً إلى "إيدا".

- إنها أكثر دُنويّةً من أي فرد آخر على هذه الطاولة.

الفتاة، التي لا يذكرون اسمها، فيها من الوشوم أكثر ممَّا تراه العين المجرّدة. حقيقةً، إنها رائعة، لذلك حاولت "إيدا" بأقصى جهد ألا تُعيّرها انتباهًا بعينيهما، ولكنها خطفَت نظرة إلى الطائر الممدود على عنقها.

- إنه على طراز "الماوري"!

قالها الفتاة وهي تغمز بعينها، على وعي تام بفضول "إيدا". وراح "دوك"، أكثر الموجودين صفاقَةً، يُحدِّقُ علانيةً كلما تحسَّس "بلاس" بأصابعه على الثعبان الملفوف كالخاتم حول إصبع الفتاة. أمَّا "بلاس"، فكانت تتنابه حالة انتصاب كلما تأمل باقة الزهور التي عانقت إحدى الرُّكبتين مُتَّجِهًا إلى سمانة ساقها، وصولًا إلى كعبها.

لم يكن "بلاس" بالفتى الذي لديه خبرة الكافية. وبالنسبة لـ"إيدا"، فكانت هذه هي المشكلة؛ فهو تنقصه خبرات الحياة، يمكن أن يخدعه أي فرد. ولمَّا كان طيبًا، ويشق في الآخر، وصريحًا، استسلم للأسف لأوَّل فتاة أبدت له اهتمامًا! لا تعني "إيدا" أن تكون الفتاة استغلالية على الرغم من أنها لا تُظهر ذلك في الحقيقة، فـ"بلاس" ثري، ولاحقت فتيات كثيرات أمواله من قبل دون أن يتخلَّين عنه حتى لا يتركهن يومًا ما. وعلى الرغم من ذلك، كان "بلاس" مع الأخرى رقيقًا، وودودًا، وأحيانًا سريع التآثر، ولكنه في النهاية لم يفقد شفافيته. كان يستمتع بالتباهي بهن، على الرغم من أنه لا يبدو أنه يأخذهن إلى السرير في الغالب، تشرب الفتيات مشروبات الصيف، ويملأن عُرف تغيير الملابس في المحلات التجارية، ثم يختفين

حينما يشعرون هن أو "بلاس" بالملل. كُلُّهُنَّ الطَّرَازُ نفسه؛ شعر أصفر، أو بدرجاته، مع قصّة أنيقة، رشيقات القوام، يرتدين الكارديجان المقفول عند الرُقبة. مُحْتَشِمَاتٌ إلى حدِّ ما، قليلات الكلام، ولكن إذا تحدثن، تسببن في رغبة الكثيرين فيهن. تربّصت "إيدا" بهنّ، وضحكت فيما بعد على إنفاقهنّ للمال. عاتبها "دوك" على الفتاة وسألها:

- ما الذي طرأ عليك؟ أتسألينها عن وضعها المادي؟

فقالت "إيدا" متظاهرة بالحرص:

- لم أعتقد أنها ستأخذ الأمر بجدّيّة. ستُسامحني يا "بلاس"، أليس

كذلك؟

اشترك "بلاس" في الضحك، مُقَرَّراً بأنه لن يستطيع أبداً أن يرى نفسه

يتقدّم به العُمر مع إنسانة تُعبّر عن نفسها بهذا الشكل:

- حسناً، حتى لو أن الأزمة الاقتصادية لا تُؤثّر عليك مباشرةً، فستظل

تُؤثّر عليك. أقصد، يمكنني أن أرى كيف أن بعض الناس السيّئين

يستغلّونها. أنا لا أتكلّم عن نفسي، أو أي شيء، ولكن لي أصدقاء، ناس من

عائلات مرموقة أفلسوا الآن، أتعلم هذا؟

(لم يتصوّر "بلاس" أنها لم تزل تتكلّم)، وهذا أسوأ حتى من هؤلاء

المتشرّدين الذين في الشوارع. نفوس تعيسة، ولكنها اعتادت على ذلك.

(هل هي فعلاً تُشير إليهم بأنهم نفوس تعيسة؟). الفقر يُمثّل مشكلة فقط

لهؤلاء الذين يعرفون الحياة المرفهة، وفجأةً يفقدون أموالهم وعملهم.
هذه هي المأساة الحقيقية.

لا يمكن شطب الفتاة الجديدة بسهولة. لقد رأيتها من على بُعد
أميال عديدة، وحتى في قلب مدينة مثل برشلونة. كانت مختلفة، حتى
إن "بلاس" بدأ يتخيّل حياتهما معًا، مُستخدماً ضمير المثنى في حديثه،
مثل "نحن ذاهبان إلى..." وما شابه، ممّا أثار غيظ "إيدا"، وتأثر به
"دوك"، الذي شعر بالارتياح في نفسه لأن "بلاس" لن ينحشر بينهما.
الفتاة، مثلاً، ليس لديها صبر على الإتيكيت، أو القواعد التي وضعها
المجتمع. يُرهبها أي شيء إلا الشكليات الأخلاقية أو الجمالية أو الثقافية
لعالم تعلم أنها دخيلة عليه. إنها ذكية، ولكن مُشتتة. لا تخاف من أنها
تضحك على نفسها أو الآخرين، وخاصة "إيدا". من الواضح جدًّا أنها لا
تُرغم على الجلوس بهدوء، وأن تبدو جميلة. والأهم أنها لا تسكت عن
أي شيء لا يعجبها. وهذا أكثر ما أحبه "بلاس"، وجودها المُفعم بالضجيج،
وافتقارها إلى احترام المسافات الشخصية، وأهم شيء الطريقة التي
خنقت بها "إيدا"، وأطفأت نورها. قالت "إيدا":

- لا يمكن أن تثق فيها، فقط انظر إلى عينيها، وستعرف أنها مجنونة.
قالت لنا بنفسها إنها تسببت في جنون زوجها، قتلته تقريبًا، وها أنت
الآن، تُقدّم نفسك خروف أضحية.

تدخل "دوك" قائلاً:

- كان مخبولاً حقاً يا "إيدا"، ومنعدم الأخلاق. إن لم تُطلق عليه

الرصاص، كان سيقتلها. ما بوسعها أن تفعل غير ذلك؟

ظلّ "بلاس" صامتاً. فقالت "إيدا" صائحة:

- المرأة المجنونة فقط هي التي تتزوَّج خسيئاً!

شعر "بلاس" بارتياح عندما رأى أن طعنات "إيدا" في الفتاة فقدت

قوّتها. ما بدا لـ "إيدا" بأنه علامة على الجنون تقبّله "بلاس" و"دوك"

بكونه جزءاً من شخصية الفتاة المُفعمّة بالحيوية. غير أن هذا لم يمنع

"إيدا" من الغمغمة. أليست فروة الرأس الموشومة والمُخبّأة تحت كتلة

كثيفة من الشعر، علامة على مرض؟ لقد وشمّت الفتاة ابنها ابن العامين

كرمز لعلاقتهم الروحية، ألا يُفترض أن يصبح مكانها في مستشفى

الأمراض العقلية؟

كيف لأُم تتكلّم ثلاث لغات، ومعها شهادة جامعية، تترك ابنها خلفها

مع أجداده، في قارّة أخرى، لتُجرّب حظّها في بيع المشروبات على

الشاطئ؟

ردّدت "إيدا":

- اللّعنة! إنها مجنونة!

ولكن كلماتها أصبحت غير ملحوظة، مثل المطر. أخذت تُفكّر الفتاة

من وقت لآخر في السبب وراء استهجان "إيدا" لها.

- إنها لا تُحبُّني، أليس كذلك؟ لو أنني سأتعامل مع الأمر كطفل
لقلْتُ إنها تكرهني.

- كلام فارغ! هي لا تكرهك... "إيدا" صعبة المراس، ولكنها ليست من
هذا النوع من البشر. لا تأخذي الأمر بشكل شخصي.
فأضافت الفتاة بمسحة حُبث:

- لا، أنا لا آخذه بشكل شخصي. إنها...

حبس "بلاس" أنفاسه مُنتظراً الضربة. ثم ابتسم:

- مسيطرة؟ أهذه الكلمة التي تُريدين قولها؟

أوماً، فأطلقت الفتاة ضحكة رقيقة قائلة:

- إنها غير طبيعية.

وبينما تتكلَّم، شاهد "بلاس" حركة شفيتها، إنها مُبتذلة على نحو

شهوي. لقد أثارته الفتاة، وكان حريصاً على امتلاكها.

- دعك من هذا، وانسي "إيدا"، ستعتاد كل مُنكما الأخرى.

لم يكن أمام "إيدا" خيار غير أنها تعتاد الموقف. فإمَّا اعتياد الأمر،

وإمَّا اعتياد عدم رؤية "بلاس"، الذي لم يعد يتلقَّى مُكالماتها. ومع ذلك

فإن استسلامها المفروض عليها لم يهوِّن عليها فكرة تقبُّل الفتاة، أو

يوقفها عن اختراع كل أنواع الشر لتستهزئ بها أو تتخلص منها تمامًا. لم تستطع "إيدا" منع نفسها، لكن بدأت قوتها على الابتكار تتلاشى، ورأت تأثيرها على "بلاس" يتقلص إلى لا شيء.

على أي حال، "دوك" هو أول من رأى الأمر بوضوح. وليس معنى ذلك أنها لم تكن واضحة بعد فترة؛ "بلاس" سيتزوج، وعلى أي شخص أن يتقبل هذا. بدا الأمر كما لو أن "بلاس" احتاج إلى أن يُثبت لـ"إيدا"، ولكل العالم، أنه رجل بالفعل، وأنه يستطيع أن يتعامل مع فتاة في غرابتها نفسها. ولهذا السبب، في رأي "إيدا"، ولحسن حظ الفتاة، أعدّ لزفاف مُبتذل ويئس. كل شيء كان يفتقر إلى الذوق، ومليئًا بالرمزيات من أغطية الكراسي الفوشيا والذهبية إلى الحَمَام الأبيض الذي تم إطلاقه في آخر الاحتفال. تدلّت أضواء الكريسماس من كل شجرة، وعبأت المكان رائحة البخور الطاغية. توهّج "بلاس"، في ملابسه الرسمية، برضا النفس. لم يُقاوم التحدّث عن خُطط شهر العسل. استقرّت رغبة الفتاة الشديدة على رحلة إلى الأمازون. وكان هذا شيئًا لم يفهمه أحد من أصدقائه... "بلاس" في قارب صغير تُحيطه التماسيح، والبعوض، والنباتات المُضيئة. لكن وصلت كروت من "بلاس" ليثبت وصوله إلى هناك، لقد تغلّب على مخاوفه الطفولية، وغمر نفسه في هذا النهر العكِر المدعو بـ"مادري دي ديو" المُحاط بدلافين الأمازون الوردية ذات الرؤوس التي تُشبه البطيخ.

- أمر لا يُصدَّق!

هكذا وصفته "إيدا". بينما وصفه "بلاس" بشيء "غير عادي". في حين أن الفتاة التي تُؤمن بأن النهر يشفي من كل شيء، أَلقت بجسدها العاري في الماء، وسبحت مع الدلافين، ثم استلقت على الصَّفَّة حتى تُغَطِّي شعرها، وكتفيها، وكل جسدها، بالوحدل وسرب من الحشرات. الحشرات خطيرة، كما ذكرها "بلاس" بذلك، وهو يراقب أشعة الشمس تلمع على انحناءات جسدها. اعتقد "بلاس" أنه يستطيع أن يرى حركات يدها الإلهية، واحدة ليأكل منها بيض السلاحف، والخنزير البري، وسمك البيرانا، والنمل، ونبات "الكاسافا" المهروس، والبطاطا؛ والأخرى ليشرب منها البراندي، وعصير القصب، بتوجيه من الطبيب الساحر، وخمر الهلوسة من الكروم المزهرة المُقدَّسة، التي جعلته يسهل ويتقيأ طوال الليل، وكأنه شكل من أشكال التطهير.

2

عندما عادا من شهر العسل أخذ "بلاس" الفتاة إلى شقَّة أَجْرها في "أورتا جيناردو" بالقرب من حديقة "جويل لجاودي"؛ لأنه أراد أن يُفاجئها، وفكَّر أنه، قريبا جدًّا، سيأتي بابنها ليعيش معهما، وسيأخذانه إلى الحديقة ليلعب. حتى إن "بلاس" تكلم مع أجداد الطفل، لكن الفتاة غضبت جدًّا، واعتبرت أن هذا كمين. وبالغت في ردِّ فعلها، فصاحت:

- لن أسمح لك بالتحكُّم في حياتي، ولا تعبت مع ابني!
ليس "بلاس" من النوع الذي يتوسَّل، لكنه توسَّل هذه المرَّة، ووعدنا
بأن كل شيء سيسير كما ترى هي؛ بدءًا من قائمة البقالة، وانتهاءً بخُطط
الإجازات. لم ترد الفتاة. من الاختيارات الموسيقية، حتى قوائم طعام
الصيف. ما زال الصمت البارد. من منع الحمل، إلى زخرفة البيت. ولكن
لا شيء. ركع "بلاس" على رُكبتيه. الأفلام والتمشية، الفوط والحيوانات
الأليفة، كل شيء سيسير كما ترى هي. وأخيرًا ضحكت الفتاة. أخذت
وقتها الحلو، ولكن في النهاية منحتة العفو الذي يتلهَّف عليه، وأخلت
نفسها من الذنب، واكتسبت الحق، بعدما قالت "إيدا": "تملأ الشَّقَّة
بالتفاهات". علَّقت قطع قماش من "السارونج" أعلى الرسومات الأنيقة
التي يُفضِّلها "بلاس"، وغطَّت كرسي الصالون البيضاء بأقمشة "الإنديز"
المُبهرجة، وتندلَّى من كل مصباح حلية من المعدن المُحكَّم، وربطت في
كل واحدة صورًا لـ"بوذا"، وشعارات الاعتماد على النفس، وقصائد
انتحارية. لم تستطع "إيدا" حتى أن تحمل نفسها على الضحك عليها،
ولكنها أصبحت الآن قلقة بالفعل:

- مَن وضع هذه القاذورات في منزلها؟

- دعك من الأمر يا "إيدا".

قال "دوك":

- إنها تضعها لما تشعر به من عدم ارتياح. البنت ينتابها الصُّداع النَّصفي.

- عندما يتَّجه هذا الكائن إلى الجنوب، وسيفعل، سيكون أنا من يعاني الصُّداع النَّصفي.

واستطردت مُغمَّمةً وهي تشطف الخَسَّ لوجبة الفطور المتأخَّر ليوم الأحد:

- أنتما يا شباب تعرفان أن شيئًا ما سيحدث بينهما، ومع ذلك فأنتما تختاران تجاهله.. "بلاس" ما هو إلا دُمية.

ومع ذلك، بعد أشهر عديدة، رأى "دوك" و"إيدا" أنه ليس من الضروري إبداء آرائهما؛ لأن "بلاس" بدأ عقله يرجع إليه. فقد عاد من آخر رحلة عمل مشحونًا كقطار البضائع عازمًا على الاستقرار فيما سمَّاه حياة السيطرة، التي يعيشها كيفما يهوى ويُريد. هذا هو "بلاس" الذي عرفاه. حتى إنه جعل الفتاة تترك عملها في بار الشاطئ، وأقنعها بأن تمتهن بعض الترجمة التي عرضها "دوك"، إذ قال:

- افعلي ذلك من أجلي يا عزيزتي.

فأجابت وهي مُمدَّدة على الأريكة، وتبدو مُتعبة:

- ومَن غيرك سأفعل ذلك من أجله؟

وبالطريقة نفسها، وضع نهاية للأشياء الصغيرة، فبدأ بالمطبخ، ثم اجتاحت الشَّقَّة كلها. في أحد الأيام، جمع كل الجوارب والمرايا والحُلِيَّ

ووضعها في صندوق، مُعلِّلاً بأنه سيعيد طلاء الحوائط، واختفى الصندوق بعد ذلك.

في إحدى الليالي، قال "دوك" مازحًا:

- يا إلهي! كل شيء هكذا... رصين وهادئ.

ركلته "إيدا" من أسفل الطاولة. تظاهر "بلاس" بأنه لم يسمع، راح يُورِّع كؤوس النبيذ. بينما الفتاة هبَّت واقفة على تعليق "دوك"، وقالت ووجهها شاحب شحوب الموت:

- أنا لا أؤمن بمنهج التقليل، للأسف الأمر تخطى الديكور، لقد فقد "بلاس" عقله، وأنا في حيرة من أمري.

لم يضحك أحد هذه المرّة. ولا يفترض أن تكون مفاجأة مُطلقًا. ف"بلاس" لم يحب قط التّفاخُر العرقي، ويبدو أن الفتاة هي الوحيدة التي لم تُدرِك هذا. الآن بدأت نارها تخدم، شيئًا فشيئًا كل يوم، إذ ترى "بلاس" في حالة مختلفة. ويُحسب لـ"بلاس" أنه عندما رأى الفتاة تتغيَّر، بدأ يُخفّف شدّته. فعلى سبيل المثال، ما زال تخطيط الأُمسيات في يدها، ففي نهاية كل يوم، يتمشّيان على أنهار حمم اللافا في حديقة "جويل"، بين الأعمدة التي على شكل شجر. يتوقّفان دائمًا عند الفسيفساء الزجاجي والسيراميكي، التي فتنت الفتاة، فهي تذكرها بالأمازون. لم يدفع "بلاس" الفتاة إطلاقًا لفعل أي شيء، على الرغم من أنه، مُقارنَةً

بأسلوب الحياة المملِّ والعمل في المدينة، وجد نفسه شاعرًا بالمثل بشدَّة
من أعين السحالي وزهور السحلبية، والطيور ذات الألوان الفاقعة. لمست
الفتاة الأجزاء المملونة، وتحسَّست الهاون بأصابعها، وظلَّت مفتونة في
صمت. أحيانًا تدفعها هذه اللحظات إلى هاوية الصُّداع النَّصفي الرَّهيب.
أثار صمت الفتاة، الذي كان في البداية مُتقطَّعًا، ثم طال بعد ذلك،
غضب "بلاس". فالافتنان يتلاشى، وكذلك صبره المعروف المحدود. وجد
نفسه يُريد أن يهزَّها، كي تفيق، فتذكَّر كلمات "إيدا" التحذيرية بأسف،
لكن "بلاس" لم يستطع أن يبيثَّ يأسه إلا لـ"دوك".

- يا رجل، إنها لم تعد تُريد أي شيء بعد الآن!

الفتاة لم تعد تأكل، ولا تنام، ولا تستحمُّ، ولم تعد تُريد الجنس. الشيء
الوحيد الذي تفعله هو التدخين، عيناها صارتا كملاءة السرير البيضاء
المنقَّطة.

- يا إلهي، حتى صُداها لا يُشبه صُداع الآخرين!

هكذا علقت "إيدا" من وراء ظهر "بلاس". لقد مرَّت بتجربة الأُم
الفالق للرأس الذي يجعلها تنام في الشَّقَّة المظلمة طوال النهار، وطوال
الليل، حتى اليوم التالي. ما كان غريبًا هو أن الأُم صاخب. أسرَّت الفتاة
لـ"بلاس" وهي تتنهَّد:

- كأن أسرابًا من النَّحل تطنُّ في رأسي. يستمر طنينها، ويعلو، ثم

يعلو، كالحشرات المندفعة في أسراب في الغابات المطيرة.

لم يعرف إذا كان من المفترض أن يُصدّقها، ويُعطِها سيجارة حشيش، أم ببساطة يتجاهل النوبات. لم يستطع أن يتذكّر الغابات المطيرة. بصرف النظر عن هذا، فهو لم يعد قادرًا على تحديد حشرة الزيز لو أن حياته معتمدة عليها. كيف له أن يظل هادئًا في عاصفة تصم الآذان؟ قالت "إيدا":

- انتظر وشاهد، لن يكونوا قادرين على اكتشاف أي شيء خطأ بها.
كان "بلاس" مُتعبًا؛ لدرجة أنه لم يرد، في حين التزم "دوك" الصّمت. أخذت الفتاة تصرخ في المستشفى بلا توقُّف. فضَّل "بلاس" أن يكون التشخيص عن شيء مأساوي ومُमित، لكن الأطباء وصفوا مُهدّئات، وأوضحوا أن كل ما فيها يكمن في رأسها، مُثيرين وإبلاً آخر من الشكوك. يا له من كابوس سيئٍ أَلَمَّ بـ"بلاس"! يقف في الطابور في الصيدلية مُتوسِّلاً من أجل الأفيون. قالت "إيدا":

- كان ينبغي أن أطرده هذه القذرة بعيدًا عنك. ومن ثمّ تستريح من هذه المُختلَّة عقليًا.

والآن بعد أن استردّت شيئًا من تأثيرها، حلّت الرُّقّة محل التوبيخ المعتاد. اشتعل "دوك" غضبًا من "إيدا"، واقفًا في صفّ الفتاة. غير أن الفتاة لم تفعل شيئًا مُنصرة قضيتها، غارقة في فيضان لا ينضب من الدموع. في يوم من الأيام، حلقت رأسها لكي تقتلع الألم. وجد "بلاس" نفسه نافرًا من فروة الرأس الموشومة.

- لن أقول لك إنني أخبرتك بذلك.

هذا شيء طبيعي من "إيدا". فقال "دوك" ملاحظًا:

- لا، أنتِ أنيقة أكثر من اللازم.

فقال "بلاس":

- توقّف.

أحسَّ "دوك" بالرغبة في ضربه، لكي يُجهض الميلاذ الوشيك للماضي، ولكنه لم يمتلك الشجاعة الكافية. على أي حال، عرضت "إيدا" غرفة الضيوف على "بلاس".

3

ودَّت الفتاة لو أنها تُؤذي "بلاس"، حتى لو بدنيًا فقط، بطعنة مثلاً، أو خدش في العين، أو عصّة، كما لو أن تركه بجرح مُدَمَّل أو واضح سيُخفِّف إلى حدٍّ ما من إحساسها بالخزي والهزيمة.

- أيها اللقيط، تتركني الآن لأنني صرت قبيحة!

هذا هو الشيء الوحيد الذي خطر على بالها لتقوله. حاول "بلاس" فيما بعد أن ينسى نشيجها، مثلما يحاول المرء أن ينسى عدم الارتياح الذي يصاحب المرض التناسلي.

- رائع! عد إلى المرأة المثالية!

هكذا قالت، وأكملت:

- سوف تكبر مع "إيدا"، ولكن لن تُضاجعها! وخاصّةً ليس في وجود

هذا المخبول الآخر وهو يتسكّع حولها كأنه قوَّادها!

كان "بلاس" بالفعل يُغادر البيت، حينما صرخت الفتاة مرّةً أخرى

وطوّحت بطفّاية سجائر زجاج، وبأخرى على الباب.

- خائن!!

قالتها وهي تضجُّ بغضب كل المياها والأعاصير والعواصف والأنهار

الاستوائية حتى انهارت، ودخلت في نوبة صداع نصفي.

ادّعى "دوك" لاحقاً أنه من أنقذ الفتاة من صمتها. إن "بلاس" يعرفه

جيداً فلم يسأله، بينما ردّت "إيدا" بأن "دوك" ليس من النوع الذي يُنقذ

أمّه شخصياً. ومع ذلك، علم الاثنان أن "دوك" ذهب للفتاة. في فترة ما

بعد الظهر، والشمس لم تزل تتسلّل من خلال الستائر، أجبر جرس الباب

الفتاة على فتح عينيها. قامت مُتثاقلةً من على الأريكة، ووضعت قدميها

الحافيتين على الأرضية، وانجرح باطن إحدى قدميها من شظايا الزجاج المتناثرة. فتقافزت على الأخرى، وراحت تفتح الباب لترى نفسها وجهًا لوجه مع "دوك"، الذي جاء ليدفع لها حقوق الترجمة.

- أنت؟! ماذا تريد؟!

وصف "دوك" لـ"بلاس" و"إيدا" كيف أغلق الباب خلفه، وكيف أزاح بحرص قطع الزجاج المتناثرة إلى جانب الجدار بمقدمة حذائه. قال "دوك" للفتاة:

- يا له من منظر! أليست هذه هي طُفَّيات السجائر الكريستال التي أهدتها لكما "إيدا" يا شباب؟ أوه، لقد كلَّفتها مبلغًا باهظًا.

لم تُجِب الفتاة، وظلَّت فترة ساكنة تبحث حولها عن الصندوق.

- ماذا فعلتِ بنفسك؟ دعيني أُساعدك.

ذهب "دوك" إلى دولاَب الأدوية ونظَّف قدمها، ولكن الجرح كان عميقًا.

- هياَ إلى المستشفى، سأخذك إلى هناك.

- على جُنَّتِي.

قالها الفتاة بمنتهى الغضب. لم تعد صلعاء، بدت جميلة، كما أخبرهما "دوك" بذلك، فقطَّب "بلاس" وجهه بتكشيرة بدلًا من الابتسامة.

لقد نما شعرها الأسود الكثيف مرّةً أخرى بقدر غطّى الوشم الذي في فروة رأسها، وأخفى الخدوش التي على رأسها. سألتها "دوك":

- هل ما زلتِ مُتعبة؟

لمس صدغها. فقالت الفتاة وهي تنظر إلى الستائر المُعلّقة إنه لا شيء يهم على أي حال. غير أنها اعترفت بعد ذلك بأن الضوضاء لا تزال موجودة؛ لدرجة أنها أحسّت بأن عروقتها تنتفض في جُمجمتها، وأنها رأت جميع أنواع الرُعب في الليالي التي قضتها بلا نوم. وقالت أيضًا إن "إيدا" قد تكون على حق، وإنها قد تكون مجنونة. أحسّ "دوك" بالندم، ووجد الفتاة بأنه سيساعدها. وأغلقت عينيها، وتركت جسدها يتأرجح إلى الخلف والأمام. وأخيرًا قال وداعًا.

عندما رجع "بلاس" إلى الشقّة في "أورتا جيناردو"، وجدها في حالة يُرثى لها. ووجد أيضًا تذكرة طائرة عابرة للقارّات على بطاقة ائتمانه. كان يعلم أن الفتاة لن تعبر المحيط من أجل العودة إلى قريتها، أو ابنها. ويعرف أنها تُفضّل الموت على أن يراها ابنها في هذه الحالة. وكان على حق، فتقرير "دوك" أيّد ذلك. على الرغم من اضطرابها، كانت تعلم أنها لا تريد أن يتذكّرها ابنها بالمرأة المجنونة، التي تضجّ من الألم. الشيء الوحيد الذي أرادته هو أن تُلقِي بنفسها في النهر. الذي حدث بعد ذلك أصبح جزءًا من الأسطورة التي سيحترمها "بلاس" و"دوك"، مثلما ستحتقرها "إيدا". صعدت الفتاة سطح قارب وشقّت طريقها مع النهر، مخمورة

مثل الطربان، إلى أن ألقى المراكبي بجسدها المتبذد على ضفة منحدره،
حيث أخذها رجل عجوز. قالت "إيدا":
- أعتقد أن هناك رباً للمجانين.

وكما أوضحت الفتاة في رسالتها إلى "دوك" أنها فتحت عينيها فقط
لأنها كانت مغلوبة من دخان التبغ الذي خيم على وجهها. جذبها الرجل
المسنٌ بيديه القويتين ورفعها وكأنها لا وزن لها. تذكّر "بلاس" يدين
صعبتين، ولغة مبهمه، وطعم شراب مرير ومُقرّف. الفتاة عالقة في عُشب
القسموس في الغابة. قال "دوك"، وهو مُتقرِّز، أو شاعر بالندم:

- هذا الجزء لن تُصدِّقه. قطع الرجل العجوز قطعاً في فروة رأسها،
وأخرج مئات من اليرقات والدهون، لديدان مُلتوية. إنها قالت هكذا، إن
الطنين اختفى.

شحب وجه "إيدا". ورأى "دوك" - الذي يعتقد أنه يعرفها جيّداً - أنها
أقرّت بهزيمتها. وعرف "بلاس" أنه عندما اختفى الألم في عيني الرجل
المسنّ الصّفراويين، فقد اختفى معه أي حب كان بينهما. ثم أحسّ
بالشفقة، وشرب مع "دوك" و"إيدا".

حمقاء تقع في الحُبِّ



"إذا وددت يمكنني أن أعطيك

شيئًا كلانا يعرفه

شيئًا سيجعل جسديك

كتمثال زجاجي مثالي".

- "كلاوس وكينسي"

قَبَلها المُدير. إنها المرّة الأولى في كل هذه السنوات، لمسات مُتَرَدِّدة من الشُّفاه تتجلى في هدوء وبُطءٍ سمحت "ماريا"، وهي مذهولة، وبلا مُقاومة، بأن يحدث ذلك، مُستسلمة لدوافع الرجل البدائية التي لا يمكن كبتها. أغلقت عينيها تمامًا، كما لو أنها تُحاول أن تحجب الضوء، لم تُصدّق أنهما في مكتبه، وليس في أحد حمّامات الضيوف. عندما فتّحت عينيها ثانيةً، كان ينظر إليها. لما أحسّت بأنها تتقلّص تحت نظرتَه الباردة والحادة، أسرع

إلى عُرف تغيير الملابس. بعد ذلك بقليل، وهي تُهدم زِيَّها، سألت نفسها إذا كان ينبغي أن تظَلَّ تدعوه "سيدي" أم لا. ولكنها تعرف الإجابة. ستنبسط أساريرها لو أنها تُناديه بـ"عزيزي"، وتهمس في أذنيه بأغنية حب، وتضمُّه بين ذراعيها، ولكن... "ماذا لو فصلني؟". فكَّرت في ذلك لحظة اقتحمت دقَّات المصعد الرِّقِيقَة حلم يقظتها.

"أرامي"، فندق خمس نجوم له سحره، صدَّقيني. لو كنت هنا سأخذك في جولة، دون أن يعرف المدير، سأريك كل شيء. أعلم مدى حبُّك لهذا، لكل شيء؛ السجاجيد السميقة، "إمبريال"، هكذا يسمونها، المرايا التي من الأرض إلى السقف، ليست كهذه المشروخة المبقَّعة التي اعتدنا أن نستخدمها في غرفة نو+منا؛ الكعك بالفانيليا في الطاسات الكبيرة، التي يمكن أن يأخذ منها أي فرد مجانًا، اللببات الصغيرة المتلألئة، على الرغم من عدم اقتراب الكريسماس، والمصعد، آه لو رأيت المصعد، يا "أرامي"، في حياتك ما دخلتِ شيئًا كهذا يا فتاة.

"ماريا" التي عملها تنظيف غرف النُّزلاء طبقًا طبقًا، تعتقد أن المصعد أروع شيء من روائع الفندق العديدة. لديها أسبابها؛ وهي تجرُّ العربة الثقيلة المُكدَّسة بالفُوط، وزجاجات "الإسبراي"، وخرقات الأقمشة البالية، إنه عمل شاقٌّ. يا إلهي، يمكنها أن تشعر بثقل كل سنة من سنوات عُمرها السَّتِّ والسَّتِّين. لكن، لا، وتُفكِّر، ما الذي تشكو منه؟ على أي حال،

الفندق مُكْتَظُّ بالأشياء الجميلة، ولكم عاشت في الفُحج، وعملها جيِّد، حتى في الأيام التي يدفعها المدير فيها للُبُكاء، على الرغم من أن أحيانًا، مثل اليوم، كانت الأيام... لا... لا تشغلي بالك، من الأفضل ألا تُفكِّري فيها.

في البداية، عندما بدأت لتوَّها في العمل في الفندق، اعتادت أن تستدعي المصعد إلى الطابق الموجودة فيه، وتتأمَّل لكم هي أزرار أنيقة؛ مُسطَّحة، وليست مُدَوَّرة، ومن صُلب لامع، وليست من البلاستيك. إنها تكره أزرار المصعد المُدَوَّرة كالتِي في مصعد العمارة التي تسكن فيها، التي يُحاول بعض الأشخاص الأشقياء أن يُشعل فيها النار بالولَّاعة، وبمرور الوقت صارت سوداء وقذرة. آه لو تستطيع تنظيفها... حقًّا، مثلما تفعل في الفندق، مع كل زجاجات بخِّ البرفانات والكيماويات التي يُوزَّعها المُدير. رجل طويل القامة، شعره بُني فاتح، دائماً مُتَعَجِّل، يتكلَّم الإسبانية بلكنة "تيوتونية" جعلتها من الصعب أن تفهمه، مهما اقتربت منه لتسمعه.

ولكن ليس الفندق فقط الذي أحببته، يا "أرامي"، آه لو رأيته بعينيك، ستعرفين ما أعني، ستذكرينه يا أختي، من المستحيل إذا رأيته ألا تتذكَّرينه. إنه يتحدَّث مثل "فريتز"، أقسم على ذلك، بالضبط كما كنتِ تعلمينه، أيام كنا في بيتنا في القرية.

هذا صحيح، في زمن آخر، وفي بلد آخر، علّمت "أرامي" رجلاً آخرَ بعض الكلمات "الجورانية". وبطريقة درامية، رفعت يده الكبيرة البيضاء - كما لو كان أعمى - نحو شفيتها، وقالت له:

- هذه الكلمات Voi potá معناها "أحِبُّكَ".

دفعها إلى طاولة معدنية، وربط ذراعيها، وأمسك برأسها بقوة تحت الضوء، ثم أمال وجهه، ليقترب من وجهها؛ لدرجة أن رُموشهما تلامست. تنهّدت "ماريا"، تُفكّر في الأضرار، آه لو أنها تستطيع تنظيفها.. التنظيف وسيلة لمحو القذارة من وجودها.. "التنظيف شفاء". لقد أخبرتها بذلك أختها "أرامي"، توأمها، مرّات عديدة. كانتا مُتشابهتين تمامًا ما عدا العينين؛ فلـ "أرامي" عين خضراء، والأخرى زرقاء مثل القطط المختلطة. تقول "أرامي":

- Quesú تعني سيئة.

ولربما هذا هو السبب في أن "ماريا" مُغرّمة، من بين كل الأشياء، برائحة الكلور. كما كانت تحب أن تقول، تستطيعين أن تبيضين أي شيء، حتى الدم، كل شيء، إلا الحب. تختفي بُقع العرق من ملابسك، وتتلاشى أي سوائل أخرى قد تصيب بشرتك... هذا ما تعلّمته عندما كانت صبيّة. يمكن لجسد المرأة أن تتجدّد رائحته. قد تتلاشى الذكريات بالتبييض في

حوض ماء بصابون. فقط اغمري نفسك في الماء كالقَميص المُتسخ، ودلّكي بشدّة كل جسدك، وبذلك يتم حل المشكلة. لو أنكِ تقدرين أن تقومي بعمل غرغرة بالكُور. في الماضي، ذات مرّة، في القرية، شربت "ماريا" كوبًا من الكلور بسبب رجل، ذلك الرجل لم يحبها قط. لكنها نجت. استيقظت في المستشفى، وقد التهاب المرئيء بشكل خطير. كانت "بنّتا شريّرة"، أوّل كلمات سمعتها حينما فتّحت عينيها، كان صوت "أرامي": "شريّرة!".

لم تكن هناك حاجة إلى ذلك يا "أرامي". فكل ما أردته هو أن أبتعد عن طريقك. لا تنسي أن ذلك كان قبل مُغادرته القرية بكثير، قبل أن يصل كل أولئك الناس الغضبانين، يطرحون الأسئلة، ويأخذون الصور، والأفلام. هؤلاء الناس جاؤوا من مسافة بعيدة يا "أرامي"، لكنك لم تريهم على الإطلاق، لأنك تركتينا في الليلة نفسها التي قال فيها لكِ وداعًا.

مرّرت أصابعها على أزرار المصعد، تُفكّر في مدى حُبّها لها. كل شيء ناعم جميل! الشّعْر المُرسل الطويل، ورائحة الملابس المكوّية حالًا، وملمس السرير المفروش توّأ، وأرضية المصعد.. إنها من الرخام، اللامع تمامًا، من الأسهل بكثير تسيير العربة عليه من مشمّع المستشفى. لقد عملت "ماريا" في مستشفى ذات مرّة. لم تكن المصاعد هناك حديثة؛ فلا موسيقى، ولا نظام إنتركوم للطوارئ، ولا أضواء. حسنًا، ليست كأضواء مصاعد فندق خمس نجوم، التي كانت تبدو في عيني "ماريا" كأضواء المسرح المتألّئة،

ولا تعلق به رائحة الدم القميئة، بالإضافة إلى ذلك، هذا المصعد واسع، فتستطيع أن تضع فيه العربة بأكملها دون الحاجة إلى حشر نفسها إلى الجدار، بل هناك مُتَّسِعٌ لتتنظر إلى نفسها في المرآة كبيرة الحجم. نظرت "ماريا" إلى أعلى، وسمحت لـ"أضواء المسرح" أن تغمر وجهها. لديها بعض المعلومات عن المسرح، عن الغناء. في الواقع، كانت تحب الغناء في الحمام، وفي المصعد. حسنًا، فيما يتعلّق بالغناء فهو فعلاً يحدث في الحمام فقط، أما في المصعد فبمجرد أن تُحرّك شفيتها بالكلمات، سيسمعا شخص ما، ووظيفتها تُهمُّها. تُهمُّها حتى أكثر من المدير، الذي تحبه كثيرًا، ومع ذلك، لا تعرف كيف تتحدّث إليه.

ذات يوم، ظهر الرجل الذي تسميه "أرامي" بالعم "فريتز" في القرية. فيما بعد، بعد رحيله المفاجئ، روى الناس عنه حكايات؛ كان يحب حقن الناس في أعينهم، واعتاد أن يسلق الأطفال وهم أحياء، فناء منزله الخلفي عبارة عن مقبرة منخفضة. لم تعرف لماذا تكلموا عنه بهذا الشكل. كل ما عرفته أن يده ثقيلة، وأنه طيب، ويعرف كيف يترك بذرته الممتازة بداخلها. تهمس "أرامي" في أذنه بكلمات تعني أكثر من أحبُّك؛ لأنه اختارها بدلًا من "ماريا". من المؤكّد أن هذا كان بسبب عينيها، اللتين تُشبهان عيني القطة السيئة، التي بها لمسة من الشيطان. كان يُغني لها:

- "أرامي"، يا سمائي الزرقاء الصغيرة.

لهجته "التيتوتونية" تأخذ شكل إيقاع موسيقى "البوليرو". سمّاها والداها "أرامي" بسبب لون عينيها الثنائي، اللتين ظل ينظر فيهما مرّة بعد المرّة، كما لو أنه مهووس.

حتى الآن تعرف "ماريا" أنها جميلة. كانوا يدعونها "مُهرة"، منذ أن أدركت سن البلوغ، مُهرة سمراء قليلاً بعينين سوداوين. تقف مُنتصبّة، تتأنق أمام المرأة، تمسك وسطها بيديها، وتتلو بأردافها كأنها لم تزل فتاة صغيرة. لقد وضع المُدير عينيه عليها منذ أوّل يوم في العمل. فكّرت في القُبلة. النازي العجوز، الرجل النازي العجوز. "نازي"، قالتها في صراحة كئيبة لجهلها، كأن الكلمة شظية تم استرجاعها من زاوية بعيدة من زوايا ذاكرتها، تحت سماء رطبة مليئة بالبعوض الكثيف مُشبعة برائحة الفاكهة العفنة. أراد المُدير أن يتفقد عُرفها بعد الانتهاء منها. أخبرها في الحَمّام:

- يا لها من قذارة! قذارة!

لكن لا شيء كان قذراً. أراد فقط أن يلتمس حُجّة كي يدخل وينظر إليها ويدفعها عند المنضدة الرُخاميّة ويفرغ نفسه في جسدها... تعلم "ماريا" أن كل هذا مجرد خدعة، وأن حَمّامها نظيف للغاية، لولا هذه الحِدّة الخفيفة في صوته... لا أحد يعلمها كيف تنظف. لا أحد. إنها إهانة، ولكنها تحمّلتها لأن وظيفتها تُهمّها. تُهمّها؛ لأنه ليس من السهل العثور على هذا العمل في المقام الأوّل، بعد سنين من كونها (مُهاجرة) غير شرعية. تُهمّها، على الرغم من

إنها حصلت على أوراقها، ولم تعد في حاجة إلى احتمال أي شيء، إنها ما زالت تتحمّلها ربما مثلها مثل "أرامي". على الرغم من غضبها من مُعاملة المدير، فإنها تنطق باسمه. كان يُناديها بـ"ماررررييا" بحرف الرّاء المُتكرّر والغاضب، ولم تعرف إذا كان يقصد السُّخرية أم شيئاً آخرَ.

آه لو سمعته يا "أرامي"، لعرفتِ ماذا ستقولين لي.

نشأ غضبها من حقيقة أن اسمها، "ماريا"، هو الاسم الفنّي الذي اختارته. غيرته خلال سنوات عملها في ملهى ليلي، بدلاً من "بانامبي" الذي وُلدت به. نعم، كانت ذات يوم فتاة استعراض؛ فتاة استعراض بالفعل. إنها تذكر نفسها بمسحة من البراعة المُتقدّمة في العُمُر؛ ليس لأنها كانت تخاف من الجنس، ولكن لأنها اعتبرت نفسها فتّانة. منذ متى تحتاج العاهرات إلى معرفة كيف يُعْنَيْن؟ وحقيقة، هي تعرف كيف تُعْنِي وقد كانت، في أيام مجدها، جميلة مثل "ماريا فيليكس". تُفكّر؛ إنها ذات لمسة الجمال نفسها، الحواجب نفسها، وتُقرّب وجهها من المرأة لدرجة تكاد تلمس صورتها فيها. لم تبدُ لمسة الجمال كما هي على الجلد المُتجعّد. أبعدت "ماريا" وجهها بعيداً عن المرأة، ولمست الخطوط العميقة في خديها. لقد سمّت نفسها "ماريا" على اسم "ماريا فيليكس"، أو "مريم المجدلية"، وليس "مريم العذراء". يا لرحمة الرّبِّ! العربة ثقيلة جدّاً. في ضوء المصعد، تستطيع أن ترى نفسها كما اعتادت أن تظهر بعد الغناء،

في فستان قصير بدلاً من الزَّيِّ. تُبرز نهديها إلى الأمام باعتزاز، لدرجة أن أي شخص يمكنه رؤية قلبها وهو ينبض. حتى إنه يمكنه أن يرى رفرفة خفقانه السريع فيأخذها إلى حلبة الرِّقْص.

ولكنه لم يفعل قط. فدايمًا هناك "أرامي" قلبها. فهي مثلها مثل "ماريا" واحدة من الفتيات الأكثر شهرةً في الملهى، ولكن عكس "ماريا"، لم تكن مُعْتَبِرة. كانت تمتلك "أرامي" طبيعة مأكرة مُتوحَّشة. مسجون في داخلها طائر طفل، وزوج من الأجنحة القلقة في صدرها بارز العظام الهشُّ. تُحبُّ أن تمشي حافيةً في الحقول، وتحتضن الرياح، السماء، الكون، البرق، المطر الضبابي. تركت "أرامي" البيت، ورقدت على طاولة باردة طويلة ودعته يحقنها بالمخدر، وبعدها لا تتوقف عن مناداته بـ"عمو" في كل مرّة تفتح فيها فمها. كانت تسميه "الحكيم"؛ لأنه أراد أن يُؤسِّس عالمًا جديدًا، نظامًا جديدًا. تباغت بأنه سيصلح عينيها، حتى يمكنه أن يترك محاسنه بداخلها بشكل أفضل. أحسَّت "ماريا" برعشة عندما شدَّت طرف الزَّيِّ إلى أسفل.

لقد كتبتِ الشريرة يا "أرامي" والسيئة، لقد تركتني، تركتني وحدي. نظرت "ماريا" إلى الضوء الساطع. تقول لنفسها "المُدِير ملكي أنا". لقد تذكَّرت ذات يوم بعد الظهر.

- "بانامبي"، دعيني أمتلكه، يا "بانامبي" طيري بعيدًا كالفراشة.
توسّلت إليها أختها؛ لأنه لم يكن من طبيعة "أرامي" أن تتشاجر.
عندئذٍ توقفتا عن الذهاب إلى السينما معًا. لقد نسيت "أرامي" كل شيء
عن "بدرو أنفانتي"، و"أوجستين لارا"، وحتى "جورج نجرتي"، الذي تزوّج
من "ماريا فيليكس". قالت "أرامي" إن "De porá" هذه الكلمة
بالإسبانية تعني وسيم".

وسيم يا "أرامي"؟ هيّا، أنتِ لا ترين يديه القبيحتين، ورأسه الذي
يشبه كتلة من الخشب، وفكّه الضعيف، وأسنانه البارزة من فمه، لا
ترين أنه متزوّج، وأنه لا يعرف كيف يحب، وحتى ابنه يطلق عليه العم
"فريتز".

لا شيء من هذا يهم، كما تعلم "ماريا" جيّدًا، لأنه كل ليلة، يظهر
"فريتز" بانضباط عسكري ويدعو أختها للرقص. يلفُّ بـ"أرامي" في القاعة
وكانها تطير، بالكاد أطراف حذائها تلمس الأرض. "ماريا" تُغني له وهو
يُغني لـ"أرامي"، هامسًا في أذنها "يا عزيزتي..". ولأنه رجل طويل القامة،
يمكن لأي شخص أن يراه يميل نحو رقبة "أرامي"، فقط كي يسمعها وهي
تقول: "أنت وسيم". بينما أخبرها في الليلة السابقة لرحيله قائلًا: "جسمك
أكثر من مجرد خلل عابر يا "أرامي". إنك تنتمين لي".

جسد أختها بقطعة القماش نفسها التي اعتادت أن تغسل بها جسم الرضيع. ولكن "ماريا" أخذت وقتًا طويلًا في العلاج، وأن تعود رائحة جسدها إلى ما كانت عليه، ولكي تتخلص من الرائحة القديمة التي علقت بها.

"أحبك جدًّا، يا أرامي"، ردّدت في نفسها مرارًا وتكرارًا: السماء، الكون، البرق، المطر الضبابي، مُنزوية في ركن المصعد، العربة تسدُّ الباب، وجهاز الإرسال يُنادي: "مارييااااا".



ليلة الافتتاح



1

بنظرة إلى الخلف وإلى ما حدث أدرك أنه كان في إمكانه أن يتجسبه. يعلم أن "كارمن" ظهرت دائماً في حياته بالصدفة، مُصادفةً لا معنى لها على ما يبدو انتهت بتغيير كل شيء. أليس من المهم بما فيه الكفاية أن يُعلن "تيترو كولن" العرض الأوّل في ذلك اليوم على وجه التحديد؟ ذلك اليوم الذي تغير فيه كل شيء بالنسبة له؟ لكنه لم يره، ليس بعد.

كان دائماً غريباً.. فريداً لو شئنا الدقة. على أي حال، هو مُجرّد عامل في محل تنظيف، شخص تتنابه الحيرة قليلاً من الحياة، ويطئ إلى حدٍّ ما، لربما ذلك بسبب أن والديه لم يكونا شائنين عندما أنجباه في هذه الدنيا. إنه شغوف بالموسيقى، والتي لم تكن شيئاً مُميّزاً في الواقع، وخصوصاً مع التكرار في وضع الملابس في الماكينات وإخراجها، وإضافة المنظف، والطّي والكي. على مدار يوم العمل، بدورات الغسيل الجاف والبخار الآلي المعتادة، تُعدُّ الموسيقى عنصراً مألوفاً، مُسكّناً كلاسيكياً لمهنته المملة.

وليس من الغرابة أيضاً أن الأوبرا هي أكثر ما يُحبُّه من الموسيقى - فهي أذواق على أية حال - فقد أحب الاستماع إليها بصوتٍ عالٍ. لا يمكنك أن تذهب إلى محلات التنظيف في بوينس آيرس دون مُلاحظة أن السَّماعات تُسيطر على المكان أعلى الغسّالات والمُجفّفات. الشيء الغريب هو أنه وجد

الرَّاحة في مهمة وحرارة الماكينات، إنها تُساعده على التفكير، لا ليتأمل أو يتفلسف؛ إنه يكره الإسهاب الفكري الذي لا يفهمه. بينما أحب، ببساطة وسلاسة، ترك العنان لخياله. في الفترات الطويلة، أثناء لف الآلات بدوران مغزلي وعصر طويل، قام بتمثيل الأوبرا وهو يستمع إليها، ويغني بصوت عالٍ، واستخدم الدمى المصممة ببراعة ليمثّل بها الشخصيات الرئيسية في الأوبرا. كان ما يفعله نسخة مطابقة تمامًا للمسرح الكوميدي في باريس الذي ورث حبه عن والده.

لا تمثّل له دمى المسرح قطعة ذات قيمة عاطفية، بل كانت لعبة. وجدها أبوه - الذي كان يومًا ما كهربائيًا في أحسن مسارح بوينس آيرس - في المخزن منسية ومُغطّاة بالغبار، وأخذها إلى البيت. واكتسب هناك قيمة مُقدّسة من كونه من البقايا المُقدّسة؛ لأن الحالة العصبية لأبيه منعتَه من لمس أي شيء هش، لقد وضع يده عليها للمرّة الأولى بعد عودته من المقابر إلى الشقّة الخاوية الحزينة. كانت الدمى عبارة عن نموذج مُفصّل للمجموعة الباريسية ليلة افتتاح "كارمن". وكما أخبره أبوه بالقصة، فشلت ليلة الافتتاح فشلًا ذريعًا، وموت "بيزيه" بعدها بثلاثة أشهر بالسكتة القلبية كان نتيجة مأساوية.

إنه يفتح محل التنظيف في العاشرة صباحًا، ولكنه يصل إلى هناك قبل ذلك بكثير. دائمًا في الثامنة صباحًا، لوقتٍ كافٍ لتفقد الآلات، وترتيب

المحل، وإعداد سُنَط البيع المُصطَفَّة بكثرة على الأُرْفُف تحت المنضدة. كان حرًّا ليفعل ما يحب قبل حلول الساعة التاسعة صباحًا؛ ليلعب بشغف كطفل. يأخذ دمي المسرح من على الرِّف، ويضعها على طاولة مُربَّعة في الجزء الخلفي للمحل، وراء الآلات، ويختار الموسيقى للأوبرا التي وضعها في ذهنه اليوم. بعد أن وضع الشخصيات بعناية على خشبة المسرح، ويقضي وقته في الاستمتاع بتحريك القطع بالدور حسب أدوارها في الأوبرا التي تتقدَّم بيْطءٍ.

ولأن المسرح كان مُعدًّا فقط لتمثيل "كارمن"، كان يقضي الساعات في تصميم شخصيات ذات أزياء صغيرة للأوبرات التي يُفضِّلها، مُخرَجًا الورق المُقَوَّى المرسوم بفنِّ "الظل"، ويرسم بالقلم الرصاص على الطيات الأنيقة للملابس، ثم يُضيف لمسات بالألوان. لم تكن هذه الدُّمى الورقية مُخطَّطة بشكل فوضوي، فكل قطعة مُبهرة بدقَّة واضحة، وفي أدقِّ التفاصيل. كان هذا تكريمًا لأُمِّه، المُتوفَّاة أيضًا، التي كانت خيَّاطة. لقد تعلَّم منها أن جوهر كل دور يكمن في الرِّبِّيِّ. فهو المظهر الذي يجعلنا نكاد نُصدِّق أنها حقيقية. فوالدته صمَّمت كثيرًا من الأزياء لأجساد في الخفاء. أجساد هي الآن في ذاكرته بلا أسماء، أجساد لم يُفكِّر قط في النظر إليها، ما عدا واحدًا، جسد امرأة، مُثير، عارٍ تقريبًا، جسد أعادت أُمُّه توضيحه مرَّات عديدة، والذي شاهد تغيير هيئته في ليلة الافتتاح، ضخمة مُتصاعدة

في صوت عاطفي لافت، مغمور بالأضواء، تزدهر بالملابس المبهرة. هذا الجسد، جسدها، هو لـ"كارمن"، أفضل أعمال "بيزيه".

لم يعد طفلاً بخدييه السمينين، أو على الأقل اختفت تحت لحيته الحيوية التي تناسبه تمامًا. إنه الآن يفهم الأشياء بشكل أفضل، ووجد أنه يستطيع التعامل مع الوحدة، لأن والديه ما زالا حاضرين في كل شيء في تفكيره. في الحقيقة، يحسُّ بأنهما تقريبًا بجانبه. ولكلمة "تقريبًا"، التي ينبغي أن تُقال، تُمثلُّ ثقلًا عليه، ولا سيما أنها أحيانًا تظهر له في أحلام يقظته. مرَّت أربعون سنة ولم يزل يرتعش عندما يتذكَّر ضحكتها، تلتفُّ جونلاتها حول جسمها الوردى، عندما تتزيَّن لكل دور ستُوَدِّيه. ولمَّا كان يعيش مُحاطًا بالملابس، اعتبرها أكثر من منسوجات مُتسخة، وأولاهها اهتمامًا أكثر مما تتطلبه وظيفته، لأن الملابس هي التي تُحدِّد مصيرنا. الملابس تُعطي المعنى للجسد الذي تُغطِّيه، هذا ما يُؤمن به، مُدرِّكًا طوال الوقت ما تستره ملابس الشخصية، فيقول عن نفسه: "أشيب، وغامض، ولا يمكن وصفه".

إنه يحب أن يتكهَّن بحياة الناس الآخرين بناءً على ما يرتدون من ملابس. صعدت فتاة سوداء الباص، وجلست، أخذت تنظر من النافذة. شعرها كعكة ملفوفة بقماش قرمزي. تلبس قُرطًا طويلًا مُطعمًا بالخرز، لم تضع أي مكياج. رقبته عارية، إلا إذا احتسبت تُرقوتها البارزة من

العظام أنها زينة. لثوبها القرمزي كُمان طويلان مُطرَّزان، وحقافة أرجوانية حول الرقبة. ألفت غطاء رأس الثوب إلى الخلف كاشفةً عن بشرتها وجزء صغير من ظهرها الأنيق قوي العضلات. ترتدي حذاءً جلدياً أرضياً، وبنطالاً أبيض ضيقاً، مظهرًا كاحليها القويتين المعتادتين على العمل. قال لنفسه: "من المؤكَّد أنها راقصة". عندما نزلت من الباص برشاقة، تأكَّد أن تخمينه صحيح.

لا يوجد شيء مُثير عن حياته، ذلك الرجل الذي يقضي أيامه في محل التنظيف، الذي يتَّسم بقليل من البُطء، ويحب الموسيقى، الذي لا يشبه وجوده الاستثنائي شيئاً أكثر من عثة ظهرت في الغسق بأجنحة بنية صغيرة مجروحة. هذا هو شعوره عن نفسه كل ليلة الساعة الثامنة، عندما يغلق الملح، ويتَّجه يميناً ويسير لمسافة ثلاث عمارات عبر "توكومان"، ويعبر الشارع، ويمشي عبر الميدان، ثم إلى طريق جانبي، ثم يصل إلى المدخل الكبير لدار الأوبرا التي عمل بها أباه. ها هو "تياترو كولن". لقد جاء إلى هذه الدار مع والديه مرَّات عديدة عندما كان طفلاً، وعندما أصبح صبياً، حيث الأضواء الغامرة، والكابلات السميكة، يشاهد دائماً من خلف الكواليس، وليس في الأمام على مقعد خاص به. لم يتضايق مُطلقاً بسبب ما فاته، إنه فقط استعاد الذكريات التي يحملها. لم تكن النجفة المُضاءة بتألق جزءاً من ذاكرته، ولا حتى منظر السُّتارة وهي تنفتح لتظهر خشبة المسرح.

نعم، هذا ما يشغل باله خلال الدقيقتين اللتين يعبر فيهما الشارع، ويترك "تياترو كولن" خلفه، في طريقه إلى شقته.

2

ذات مساء، دخلت امرأة المحل، ترتدي زيَّ خادمة، لها شعر قصير، ويد جميلة. وضعت على المنضدة صندوقًا بيضويًا كبيرًا، مُبطَّنًا بستان أسود. صندوقًا يمكنه أن يحدث سلسلة غريبة من الأحداث. فتحه بحرص، وفرد معطفًا رجاليًا للسَّهرة مُعبأً برائحة النَّفثالين. طلبت منه إيصالًا للأشياء السَّتَّة التي في الصندوق، بما في ذلك قُبعة مُلطَّخة بطول الشريط، ورائحتها عفنة. تأمل الأمر بعناية، مُقدِّراً التكلفة واحتمالية أن تفشل جهوده. قال:

- سأرى ما يمكنني فعله، اتركها هنا، وسأُتصل بكِ.

هكذا كما علَّمه أبوه، وهزَّت المرأة كتفها، كأنها لا تهتمُّ. هذه أغرب طلبية صادفته في عمله منذ سنين. لا يستطيع أن يتدكَّر شيئًا كهذا. لقد تدكَّر فساتين سهرة مُثقلة بالتطريز والدانتيل المُتأنِّق، عمل على قماش "الأورجانزا"، و"الشانوج" الحريري، والشيفون، والكتَّان... ومن وقت لآخر على ملابس السَّهرة الباهتة، ولكن في حياته لم يصادف مثل هذا المعطف!

انتظر حتى أصبح وحده ليتفحصه. أمسك أولاً بالمعطف الأسود، ليتحقق من الأضرار المفقودة ويفتش عن أي بقعة عفن فطري. تنفس الصعداء عندما وجد أنه على الرغم من أن منديل الجيب الحريري الأبيض في حاجة إلى التبييض، فإن أطراف البالطو، المبطنة بالستان الأبيض، ذاتها، ليس بها بقع. يتلاءم البنطال مُستوي الواجهة تمامًا مع المعطف، مع شريط ستان غامق ينساب خارج كل رجل بنطال. وهناك صديري حريري مُتموّج، كان رماديًا باهتًا ذات مرّة، ولكن مُصفرًا الآن عند الطيّات. قميص السهرة الأبيض، من قطن فاخر، وله أساور فرنسية، وياقة مُرتفعة. رأى أنه بالنّشأ المرکز ستعود واجهة القميص والياقة كأنهما جديدتان. أخيرًا، وليس آخرًا، أخرج من شنطة بلاستيك صغيرة رابطة العنق، في حالة أفضل من الصديري. كل شيء رائع. بينما يتفحص الطقم، أحسّ بأنه يمرُّ بلحظة تنويرية.

في تلك الليلة، أخذ معه الصندوق إلى المنزل، أراد أن يبدأ فورًا. سار مسافة ثلاث عمارات إلى "توكومان"، وعبر الشارع، وسار في الميدان. إنه يحب الميدان في هذه الساعة أكثر من أي وقت؛ فهو يخلو من الكلاب الضالّة، التي تُسبّب الرُعب كل صباح. لا نباح، ولا صوت بوق، لا يوجد إلا ظلال الناس تذهب وتجيء أبطأ منها في النهار، كما لو كانت رسومات ظلّية من الورق المقوّى، جاهزة للدّهان. تُنير الأضواء الأربعة جوانب لدار الأوبرا، يتم عرض عمل فني؛ رأى الملصقات. وصل إلى البوّابة الرئيسية، دار

حول المبنى إلى السرادق الذي على يمين المبنى، وقرأ الإعلان ببُطءٍ "كار... من". صدفة نادرة. فكَّر في العَجْر، والعاشق الغيور، ومُصارعة الثيران في الأوبرا. ومع ذلك، لم يمكث طويلاً أمام السرادق. لم يعلم أن التهيئة التي خرجت من بين شفتيه، تدل على شيء أكثر من الاستسلام؛ كان اشتياق قلبه المتردد، يومض بغير توقُّع، ثم سرعان ما ينطفئ. إن حياة المغسلة أضيِّق وأكثر شحوباً من أن تغذي هذا النوع من الشعور.

ولكن لاحقاً، وهو جالس على منضدة الخياطة الخاصة بأمه، تحت ضوء المصباح نفسه الذي وضعه أبوه منذ سنوات من أجلها. ومع تردُّد موضوع "كارمن" بشكل خاص في طبلة أذنه، قطع عهداً استثنائياً على العودة. ما كان له في هذه المرّة ليتخلف في الظلال. وأين كان والداه الآن، عليهما أن يفخرا به. لن يشعرا بالحزن بعد الآن بسبب وحدته العارضة. اتَّخذ قراراً، غالباً تحدياً لنفسه، مدفوعاً بذاكرة آلاف المرّات التي أقعده فيها الخوف؛ ستكون هناك، سوف ترفضه، والخمود الذي حماه حتى هذه اللحظة، سيؤثّر بالسلب. من الأفضل ألا تدع المعاناة تتملّكك. لقد أوضح والداه ذلك، وهو قد أطاعهما، دون التّخلي عن الأوهام التي جلبها السؤال "ماذا لو...؟".

بصدق، على الرغم من ذلك، لم يكن يُفكّر في احتمالات المستقبل. ما شغل تفكيره لحظة واحدة؛ لحظة لقائهما. سيراهما مُجدِّداً. سينتظرها حتى

ينتهي العرض، مُمسكاً بوردة حمراء، ربما، لكن، هل يستطيع أن يتخيّل
هذا؟ ربما قبّلتها بالحماس نفسه الذي فعلته في ذلك اليوم، دفعته إلى
الخلف في صف مُكنظ بالأزياء، ومنحته شرف نيل القُبلة الأولى والأخيرة
في حياته. يا إلهي! كيف غضبتُ أمّه عندما رأتهما معًا. كم من
الكلمات البذيئة صبّتها من فمها وهو يستمع من خزانة الملابس في
الغرفة المجاورة عاجزًا عن إيقافها. نحيب، وتنهّادات. صفع باب يُغلق.
وكلمة "شفقة" كضربة لاذعة، تتبّع طوال الطريق إلى البيت حتى غرفته
الكتيبة الصامتة.

3

مرّ الوقت بسرعة، وكذلك عمله في تجديد معطف السّهرة وبقية
الطّقم. استحوذت عليه المهمة، حتى إنه فقد اهتمامه باللعب مع دُمي
المسرح، التي ظلّت على رُفّها، وُضعت في الخلف بلا اكتراث. فيما يتعلّق
بإيقاع ألحان الأوبرا المُفضّلة لديه، فكانت أفكاره تحمل موجات من
النائج والكلمات المحتملة الحدوث. يكتبها في مُفكّرتة السّوداء اللّولبية،
ثم يراجعها، كما علّمه والده. لقد شطب كلمة "أهلاً"، ثم كلمات أخرى.
وأخيرًا، استقرّ على التزام الصمت... "دعها تَكُن أوّل مَنْ يتكلّم". كان
سيُعطيها لحظة كي تتعرّف إليه، واقفًا هناك بمفرده، رزينًا وأنيقًا بلحيته
التي لا تشوبها شائبة. بمفرده تمامًا، دون وجود أحد ليُساعدَه كشخص

بالغ. رؤيته لنفسه كشخص بالغ أعطته إحساسًا مثيرًا بقوة شخصيته، التي تزداد في كل مرة يقيس فيها جزءًا من البذلة. فالصديري المُموج يُناسبه تمامًا، وبالكاد لمست حافة البنطال حذاءه. بينما يرتدي المعطف، باغته تحوّل عجيب، لدرجة أن نغمة صوته تغيّرت.

تبقي يوم واحد على ليلة الافتتاح، بل ساعات! وهو لم يصادف لحظة واحدة من التّدم. لقد شجّعته والداه دائماً على إنفاق المال على نفسه. دون تردّد، دفع مبلغًا كبيرًا من المال لأفضل مقعد مُتاح للأوركسترا، ثم أنفق على زوج من الجوارب وحذاء سهرة أسود. كان يشعر بارتياح عندما يعمل بوصية والديه للمرة الأخيرة. أصبح لديه كل شيء. كل شيء ما عدا الوردة الحمراء، التي عزم على شرائها من محل الزهور على ناصية شارع "توكومان"، في طريقه إلى دار الأوبرا. لقد دفع ثمنها مُقدّمًا، بعد أن عبر الميدان هذا الصباح، للتأكيد فقط. أغلق المحل للغداء، أمر لم يفعله قط، وسار إلى محل الحلاقة المُفضّل لأبيه، فقصّ شعره، وهذّب لحيته بالطريقة التي تُفضّلها أمّه. ثم عاد إلى المحل، حيث سيكوي البذلة بتمهّل. لم يأكل، لأنه لم يكن جائعًا.

أُذيعت "كارمن" بصوتٍ عالٍ في السّماعات طوال فترة ما بعد الظهر. ظلّ يُغني طوال فترة مروره باللكواة على كل قطعة من بذلته الأنيقة. في البداية كوى القطع البيضاء، ثم القطع الداكنة. ورشّها بقليل من

الكولونيا، مثلما اعتادت أمُّه فعله، ثم وضع بحرص كل قطعة على الأخرى فوق المنضدة لتتعرَّض للهواء. أغلق عينيه، وراح يستمع إلى الصوت الهادئ للآلات، المتناغم مع دقَّات قلبه، الذي ينبض في صدره، وفي حلقة، وحتى في رُكبيته، بحماس لم يشعر به من قبل. لم يُعد عثة بعد الآن. سوف يذهب إلى الأوبرا بجناح فراشة. حتى عامل التنظيف يمكن أن يكون ملكاً لو أراد. لقد تفتَّح أمامه معنى كلمات أبيه، مثلما تفتَّح الزهرة تحت أشعة الشمس. في الساعة الحادية عشرة، حينما تلمسها أشعة الشمس، تتكشَّف بنفسها. يمكنه أن يكون ملكاً، يكون أي شيء يتمنَّاه. من الصعب أن ينتظر حتى يرتدي ملابسه. لو كان الأمر بيده، لغيَّر ملابسه في الثالثة، بعد عودته من الحلاق مباشرةً. إنه يتوق ليفعل ذلك الآن، ليتمشَّى في شوارع المدينة حتى وقت العرض. لكنه لا يُريد أن يعرق عندما يصل إلى دار الأوبرا. لا، إنها فكرة خاطئة.

هذا ما كان يُفكِّر فيه، عندما سمع صوت الجرس الصغير الذي علَّقته أمُّه في الباب لكي يعرف أن أحداً دخل المحل. نظر في الساعة ذات الأرقام الكبيرة التي علَّقها أبوه على الحائط. الساعة السادسة والرُّبع. مرَّ كل شيء بسرعة. دقَّ عقرب الثواني مرَّةً واحدة فقط عندما أحسَّ بدافع أن يغلق الباب، ويدفع بأي شخص قادم إلى الشارع. لكن قدميه تسمَّرتا. فعند الباب، وقفت المرأة التي في زي الخادمة، ذات الشعر القصير، واليد الجميلة. وقالت وقد أمسكت بالمعطف الذي فوق المنضدة:

- هل أنجزت المهمة؟ مُستحيل، أنت فنان!

- ليس بعد.

حاول أن يكذب؛ لذا لم يقدر أن يُرجع البذلة، وكانت هذه هي الكلمات التي استطاع أن يقولها. لكنها سارت إلى داخل المحل، بينما خفض صوت الموسيقى. وراحت تُوضِّح الأمر وكأنها تعتذر:

- فكَّرت أن آتي فقط كي أرى كيف تسير الأمور، فأنت لم تتَّصل، لذلك

استغربنا... ولكن لا بأس! هل يمكنك أن تضعها في الصندوق من أجلي؟

لم يتَّصل بها، كيف نسي؟ لم تفعل أمُّه ذلك إطلاقاً. ولهذا السبب أعطاه أبوه المُفكِّرة اللَّولبية. بينما كان يطوي آلياً البنطال مُستوي الواجهة بشرائطه الحريرية السَّوداء، كانت المرأة تعد القطع الموجودة على المنضدة. ابتسمت وهي تقول:

- برابطة العُنق والقُبَّعة يصبح العدد ستَّة، أمر عظيم.

دون أي غمغمة أعطته المبلغ المُتَّفَق عليه، وطلبت منه الاحتفاظ

بالباقى.

دقَّ جرس الباب مرَّةً أُخرى، كاسراً التعويذة، التى ربما كسرهما بالفعل

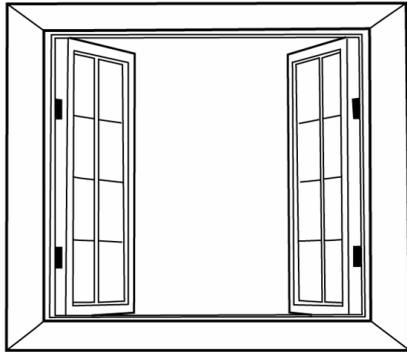
هاجسه السيئ. كانت الساعة السابعة عندما بدأ في ارتداء ملابسه. كان عليه

أن يبدأ بالجورب، ثم بالبنطال... في تلك اللحظة، بدا المحل له كأنه مقبرة.

راح يذهب ويجيء بين الآلات الصامتة، و سلال الملابس. أحال الضوء الجدران إلى لون أصفر قاتم. غمره السكون. مرَّ طابور من السيارات ببُطءٍ في الجانب الآخر من الباب الزجاجي، كأنها في فيلم صامت. ظلَّت في عينيه صورة الأضواء الوامضة. تصدر من السماعات صيحات "كارمن"، وتتردَّد داخل المحل، ولكن دون أن تصم آذانه. ظلَّ يمشي في دوائر أصغر وأصغر، ووصل أخيراً إلى طاولة في الخلف، وهو يشعر بدوخة وارتباك كطفل. وأخذ دُمى المسرح من على الرَّفِّ، ووضعا بحرص على الطاولة، حيث لا يُفكَّر في شيء آخر سوى اللُّعب، لوقت طويل جدًّا، قبل عودته في نهاية المطاف إلى حياته الغريبة، أو بالأحرى غريبة الأطوار.



حلم بعيد



حلمت بأنها نائمة بعمق، تمامًا مثلما كانت وهي طفلة. يحملها بعيدًا صوت أمها، والحكايات التي تحكيها لها، أو أنها تضع رأسها على صدر أبيها وهو يهزها ونفسه يخرج متقطعًا من التدخين. كان يجعلها في تلك الأيام تغلق عينيها، وتنام قليلًا، على الرغم من انفعالها، وكل شيء عليها أن تتعلمه وتذكره؛ مثل كل هذه الأرقام والاتجاهات، ومثل ثقل ذنبها بأنها تريد أن تطلق حُرِّيَّتها. ومع ذلك، لا يمكن القول بالضبط إنها لاقت صعوبة في النوم ليلة اليوم الكبير. لقد قضت وقتًا طويلًا شبه نائمة، تنظر من النافذة، إن أضواء المدينة البعيدة المرتعشة قتلتها ببُطءٍ. فتح أبوها باب غرفة نومها برفق، فتسلل شعاع نور على شكل مُثلث أصفر، فأضاء الأرضية، وسألها:

- هل أنتِ نائمة؟

لم ترد، على الرغم من أنها سمعته جيّدًا. فهي لا تريد أن تضطر لأن تكذب؛ لتناقش مرّةً أخرى خط السير، والشوارع، والباصات، وعنوان الأستاذ الأُسْكُتْلَنْدي المسؤول عن مُقابلة الطلاب الذين قادهم حظّهم الكبير إلى مبنى السكن، فتأكّد مُستقبلهم واعتمد. عندما حان وقت انصرافها، أصبح من الصعب أكثر وأكثر أن تتبع الساعات. نظر إليها، مليئًا بالفخر؛ لأنه يُجنّبها هذه المرّة عبء توقّعاته، كما لو أنه يجني بالفعل ثمار مهمة بلغت الاكتمال. كان حسّاسًا وعلى وشك البُكاء، ولهذا السبب أغلقت عينها، مُتظاهرةً بالنوم، وظهرها إلى النافذة الكبيرة.

كانت نافذتها واحدة في جدار لا نهائي من النوافذ، مُكوّمة بعضها فوق بعض كاللوحات المبروزة التي تعكس طبيعة ما يحدث بداخلها. في الأمام، وعلى الجانبين، على مسافة عادية، انتصبت جدران مُتشابهة شجّعت على التلصّص؛ فكل واحد هناك يرغب في أن يكون مُراقبًا. تُنظّف النوافذ بدقّة، في انتظار فواحش الليل؛ ففي النهار تظلّ خالية من السكان، وفارغة. توهّجت بأضواء كهربائية صناعية غمرت كل الأماكن الداخلية بلمعان مُزعج تسبب في أن تبدو الأشياء الصغيرة أكبر من حجمها بكثير. الأحداث العادية صارت قصصًا لا يمكن تصديقها، بعضها أكثر فنية (واقعية) عن الأخرى، وفقًا لموهبة وهوية مؤدّيها. على سبيل المثال، تصبح الوجبة المسائية وليمة شهية، مُمَجّد العمليات البيولوجية البسيطة، مثل البلع. يتم عرض تصوّرات الحياة في كل نافذة. أما هي فقد علّموها أن تقلق من أي نوع من الكشف، لدرجة

أنها لم تتخيّل نفسها عُرضة للنظر إليها. يمكنها بالكاد أن تنظر إلى نفسها في المرأة. على الرغم من أنها أحياناً تفعل ذلك سرّاً.

لا يُعرض في النوافذ شيء قبيح، لا شيء بذيء، ولا شيء بائس، وهذا ما جذبها بالتأكيد؛ اللاعقلانية والتفاهة. لم يكن هؤلاء القاطنون في هذه النوافذ وقحين مُطلقاً، ولا غير مُهدّبين، ولا حتى عندما تُركّز الرُسومات المُفعمة بالحيوية على مأساة، مثلاً الموت، لأن هذه الوقائع السّوداء كانت أيضاً تمثيلاً فنياً للعالم، تقليدياً تم إنجازه ببراعة فائقة، تم تصميمه ليعث على الاستمتاع. ألم يُقدّر المجد للأحداث البطولية، مهما صغرت؟ فالأشياء مهمة حتى في اقتصادها. قليل، ولكن جميل. قليل، ولكن مهم. قليل، ولكن ليس مُفرطاً في الجمال؛ مقعد إسباني، كتابان مُجلّدان كأنهما تعويذة، متروكان على الطّاولَة، مصباح منضدة أخضر، أو قطعة من الأدوات المُصمّمة بهندسة بيئية، هذا النوع الذي يصنع قهوة "سومطرة" مضبوطة زكيّة الرّائحة دون خدش حبة بُن واحدة.

أمنت بأن كل شيء تمّت إضاءته بتمهّل لإثارة الإعجاب، أو الحب الأعمى، على الرغم من أن المُجاملات كانت سهلة، والقبيلات غير ذي جدوى، والعواطف غير صادقة. كما أن دفء الحضور هناك يبدو - كما هو معروف - مائلاً إلى التبلد، وفقدان الحس، ثم يبعث على الملل... ولكن هذا غير منطقي، أليس كذلك؟ يمكن قضاء وقت كبير في تأليف هذه

التابلوهات المسائية الصغيرة، عندما يتمشى بعض الناس، فقط للحظات قليلة في الليل، بعد ساعات من العمل، عمل بلا نهاية حتى يمكن خلق شيء جدير بالذكر بعد حلول الظلام. انسَ الحاضر، انسَ الآن. الناس لديها هاجس وخوف من المُستقبل. لقد أزعجهم، ككابوس يتجلى. فكرة أنهم، أو أن خُلفاءهم، قد ينحدرون إلى السُّوقية، أو ما هو أسوأ منها، إلى الفقر. فالفقر هو جوهر الرُّعب. لم تكن النوافذ شكلاً من أشكال التباهي غير المُجدي فحسب، بل صلة بالعالم الذي يحنون إليه، وحائط صدٍّ من العالم الذي يخافون منه.

كانت نافذتها (في الحقيقة، كل نوافذ بيتها) استثناءً على هذا الجدار. نافذة واسعة بستائر رقيقة، ولكن ليست شفافة. عاشت هناك مع أسرتها في بيئة مُحفظة بأصالتها، غير مُلوّثة، وتصل لدرجة القداسة تقريباً. لديهم أثاث بسيط، وكتب عديدة، وكثير من الأرفف التي لم تعد مُلائمة، وبيانو قديم. لم تذهب هي، ولا أخوها الأصغر، إلى المدرسة قط؛ رتّب أبواها ذلك. فالمُعلمان بالأجر، علماً أبناءهما في البيت من أجل الحماية من فُحش هذا العالم، الذي رفضه بسبب انكشافه، واستهتاره بما يعتقدون أنه حقيقة. لقد أعطيا قيمة للشجاعة والصدق والدِّكاء. كانا مُستنيرين، وأصرّاً على غرس المعرفة في أطفالهما لكي تُفتح لهما جميع الأبواب. ناقشا الأساليب والمضمون، وتطوّر الأدب واللغة، والعلوم، والفن، وأيضاً الاهتمام بالجسد والروح. علّمهما أبوهما الماضي، بمحاولاته إجراء حوار مع

التاريخ، لقد أخلصا للكلاسيكيات واللغات القديمة، بإعطائهما الأولوية لللاتينية، بالإضافة إلى اللغات الأخرى التي لا غنى عنها. وراحت أمهما، من ناحية أخرى، تحتفي بالحاضر، وتُعدُّهما للمستقبل، بالتركيز على العلوم في شتى مجالاته التطبيقية. وساعدتهما الأفلام والموسيقى على تشكيل روح قدوتهم. فالفتاة تعزف البيانو ببراعة فطرية رهيبة، أما أخوها فيعزف القيثارة. في مرحلة ما، عليهما أن يتعلَّما كيف يحميان نفسيهما من سُخرية الأطفال الآخرين، الذين يتسكَّعون في العالم الخارجي، حتى يشعرا بأنهما قادران على تقديم نفسيهما للآخرين، مثلهم مثل النَّبَّاتين الذين يرفضون أكل اللحوم دون حرج. لقد اكتسبا، كآلية للدفاع، حسَّ دُعاة داهية يستخدمانه لتجنُّب ناقديهما.

لم يُرهِما أبواهما جمال العالم فحسب، بل علَّماهما أيضًا أن ما يراه كل منهما كواقع سيئ فهو من أوجه القصور فيه. إن هذا العالم الرَّائف الذي لا ينتمون إليه، حتى لو أنهم آمنوا بخلاف ذلك، والذي اختاروا بدلًا منه رهبانية عزلت الأسرة ردحًا من الزَّمن، وحوَّلت الأطفال إلى عيَّات معملية يحاول الوالدان أن يُصلحها، ويُجمِّلها، ويُصقلها بأزميل من مُعتقداتهما.

في بعض الأحيان، ولفضول الأطفال (وخاصَّةً هي)، يفتح الوالدان الستائر بغرض التَّعليم والمُقارنة. على مرِّ السنين، صارت تسحب الستائر في الخفاء، وتنظر من النافذة. وتتساءل عن واقع كلا العالمين، والعالم

الأخرى التي لا تعرف عنها شيئاً. بدأت تشعر على نحو مُتزايد بأنها رسالة مُشْفَرَّة لا يهتَمُّ أحد بقراءتها. غالباً ما تبحث عن المُتعة، لقد استحوذت عليها رغبة خالصة في الاستمتاع، ولكنها سرعان ما ترتدُّ إلى صرامة أُسرتها. تُفكِّر ملياً مرَّةً تلو المرَّة في إذا كانت موهبتها عبثاً، وتساءل نفسها: هل يُؤدِّي الذكاء والمعرفة إلى الغرور والتفاخُر، وتساءلت إذا كانت الشجاعة والصدق شكلين قاسيين لتصنيف كل شيء، لكي يتظاهر كل فرد بأنه أفضل من الآخر؟ لم تعرف أي السُّبُل تتبَّع في خارطة أُسرتها. ولكنها تاقَت إلى مخرج طوارئ، أرادت أن تهرب، وتتنفَّس؛ أن تُجلب إلى الحياة، وتقطع كل الخيوط المنسوجة بعناية على مرِّ السنين. أن تفرَّ من الجامعة القديمة الموقرة، التي تأسَّست في القرن الخامس عشر في دير رُهبان في الكاندرائية. لتتخلَّى عن الانضباط الخنوع للرياضيات والموسيقى؛ ومُزَّق الكورسيه. "أعطني ما هو فائض، لأن أي فرد يستطيع أن يحصل على ما هو ضروري"، إنها تُردِّد صرخة الحرب السرية هذه منذ أن بلغت أشدّها. في تلك الأيام، فقدت الكلمات معانيها تماماً، كما لو أنها في ذاكرتها، قد تبعثرت قطع لغز غير محدودة.

أحسَّت بالغضب، ولكن بالشفقة أيضاً تجاه والديها. فكَّرت في كل شيء تعلَّمته، وفي عدم جدوى المعرفة. هل يستطيع مخلوق أن يخدع خالقه دون عقاب؟ هل يستطيع أي عمل فني أن يطمح في أن يكون شيئاً غير الذي صمَّمه الفنَّان؟ لقد تأمَّلت هذه الأسئلة في الليلة السَّابِقة لرحيلها

بمفردها في غرفتها المطلّة على النوافذ التي تُشبه الرُسومات. نهضت من على سريرها، ومشت إلى النافذة، ونظرت إلى الشارع في الأسفل. هناك امرأة تتكوّر على الرصيف، قدماها حافيتان فوق الرصيف. وبجانبتها، يرقد شكل بشري صلب بتحفُّظ. تخيَّلت أن المرأة تبكي من البرد، لأن هذا هو الذي يبكي منه الناس الذين لا يذهبون إلى أي مكان.. إنهم لا يحمون أنفسهم من الرياح فحسب، بل أيضًا من النور، الذي يكشف كل شيء بغشائه الصّدئ؛ أكوام القمامة، والحواري المُغلقة، والكلاب، ونواصي الشوارع، والنوافذ. إن الطريق الذي يمتدُّ إلى المجهول، مصنوع من الخوف؛ فمجد العالم يكمن في الجانب الآخر للتّعاسة. الآن فقط، بدأ ضوء القمر في الانحسار. وأحسّت الفتاة أيضًا بالبرد، وكأن شيئًا غريبًا سيحدث، لكنها لم تتوقّف عن النظر إلى الخارج. نائمة بعمق، أو ربما غير نائمة بالمرّة، نظرت ببساطة من النافذة.



"موييا"



"التأكد من أن أي شيء قد كتب فهو يمّحينا، أو يجعلنا سرابًا".

- "خورخي لويس بورخيس"

كانت الليلة طويلةً، والسجن صامتًا برائحة الانتقام. أو على الأقل هذا ما اختاره السّجّان ليعتقد فيه، وإلا فلا شيء له معنى. تركه المنظر مشدوهًا؛ فرجلكِ نصف عارٍ، ببنتال يصل حتى رُكبتيه، وفمه فاغر، ويسيل لُعبه. ربما ضائع، وربما في رحلة سيئة، منهار على الحصيرة تغطيه القذارة. الرضيعة ترقد بجواره، ساقها مُتباعدتان، مُلتوية، وعرجاء، كذمية مكسورة. مَيّنة.

نعم يا "ماجدالينا". هذه المرّة، استيقظ الرجل الذي دعوه "رجلكِ" في الجحيم، يركله حُرّاس السجن عندما حاول أن يعالج سبب الصباح الذي حوله. أجبرته إبر حادّة صغيرة من الضوء على الرجوع إلى الواقع، كما اعتادت عيناه ببطءٍ. كان يُناضل من أجل الجلوس عندما رأيهم يأخذون

جسد ابنتك المغطى بالبطانية بعيداً. لم يزل على رُكبتيه، حاول أن يصل إليها، ولكنه وقع على وجهه على الأرض مغشياً عليه. عندما فُتِحَ عينيه مرّةً أخرى، أخبرك فيما بعد، وجد نفسه في غرفة خضراء مُعتمّة؛ واستطاع أن يعرف بالشّم أن هناك رجلاً يُدخّن بالقرب منه. كان أنفه وجبينه مُتورّمين، كقطعة الفلين الجافّة، وما زالا يخفقان. قال وهو يشهق:

- لم أفعّلها، أقسم بذلك.

وظلّت هذه الكلمات دفاعه الوحيد.

لا دعينا لا ندعوكِ بساذجة يا "ماجدالينا"؛ لأن في الساذجة براءة وحيرة. وأنتِ لم تكوني بريئة قط. لو أن هذا يجعلكِ تشعرين بتحسّن، يمكنكِ أن تقولي ذلك، في نظركِ، لم يعد "مويبا" تجسيداً للرُعب، والفساد، والنتانة. في نظركِ، لم يعد "مويبا" سجنًا، ولكن ببساطة مبنى قديم، وقصر كالمتاهة به أبراج كثيرة! وغرف كثيرة! مثل مبنى من الطوب اللّبن. لقد أتاح لكِ هذا المكان أن تعيشي في أكبر عالم موازي وهمي، بلا حاضر، ولا مُستقبل. بين كل اللغات المختلفة، وشتّى الأنواع من السُّجناء؛ رجال، ونساء، وأطفال يختلطون جنسيًا بطُرُق غير شرعية في وكر الثعابين هذا. لقد أفتنعتِ نفسكِ بأن لا شيء من هذا كان حقيقيًا، ولا شيء كان جادًا، وأن ما يهم في الأمر هو أن لديكِ أسبابًا وجيهة، أسبابًا مهمة؛ ابنتكِ الصغيرة

بالطبع، وأيضاً "رافاييل"... حسناً استمرّي في إخبار نفسك بما تريدين أيّاً كان. استمرّي في الدوران في دائرة مفرغة.

الأشباح تحيطك. والزمن عادةً ما يُهدّئ الذكرة المظلمة، ولكن ليس ذاكرتك؛ فأنت لا تزالين غير مُستعدّة للنسيان. كان ينبغي أن تتركه يا "ماجدالينا". وماذا سيبقى بعد؟ على الأقل، أنت تعرفين أن "رافاييل" لم يكذب عليك إطلاقاً، ولم يكن يحمل في داخله أي خداع لك، كان دائماً يُريك الحقائق. في هذا العالم، قلّة من الرجال يتّسمون بالوقاحة، والصفّافة. حتى عندما أمسكوا به يعمل كالحمار، رغم أنه كان خائفاً في داخله، كان جريئاً. أدانوه، وقضى ثلاث سنوات في سجن "مويبا" عندما حدث ما حدث... ولكن، بالنسبة له، لم يكن "مويبا" يعني إدانة، بل يعني قدرًا. كان أشقرَ ومُهدَّبًا، لذا أحبّه الجميع، وكان "ألباتا" مُفعمًا بالحيوية. لدى "رافاييل" كاريزما، وقدرة فطرية غير محدودة على الإغواء، بفضلها حالاً أصبح السجن مُحتملاً، بل أصبح سهلاً تقريباً. منذ وصوله إلى السجن، لاحظته النُّزلاء؛ فقد برز بين الجميع، بخصلات شعره الذهبية التي تصل إلى كتفيه، وصدرة الصُّلب، وغمزات عينيه المرْتعشة على الدّوام. لم تكن تلميحاته سُوقيّة، ولكنها لم تكن أيضاً مُخنّثة. نعم، برز بينهم، فليس هناك مَنْ لم ينجذب إليه، وهذا جعل منه وسيلة مثالية للنقل والحمل، للذهاب والمجيء، للتسليم والاستلام.

على الجانب الآخر، كان "ألباتا" رجلاً ضئيلاً، على فكه أثر طعنة خنجر منذ كان في الثالثة عشرة. وقد أدرك أن المخدرات هي وزارة الاستمتاع. له طريقتة؛ أولاً، الإغراء. لاحقاً، الاستعباد. لقد شاهدته. اختار وليمته التي يستمتع بها لمدة يوم أو يومين. يضيف على أتباعه ببعض المزايا؛ الولائم، والرقص العجري... عرف حُرَّاس السجن كيف يبتعدون عن رجال "ألباتا". ولكن فوق كل ذلك، كان يُعطيهم نوعاً من الثقة الهشَّة، واحترام النفس، والحماية كالأبناء، ويُعزِّز كل ذلك طقوس استقبال همجية مُتزايدة. وبهذه الطريقة، كانوا يتحوَّلون إلى الخنوع؛ تُقطع الأذن، وتُغتصب الأجساد بوحشية، ثم يتحوَّلون إلى النسيان. يأخذ كل شيء، ولكن يظل يصدر الأوامر ويُعاقبهم، حتى يلتحقوا أخيراً بالحلقة الصغيرة الداخلية.

لكن "رافاييل" كان حالة خاصَّة. فقد انجذب له "ألباتا"، مثلكِ تمامًا. عليكِ أن تعترفي بأنكما، من هذه الزاوية، لم تكونا مختلفين. لقد تخيلت بداية كل شيء؛ "رافاييل" في البنطلون الجينز الضيق الذي يرتديه دائماً ليرز أعضاءه. كانت عيناه التي تشبه أعين الزواحف تجرد "رافاييل" تمامًا من ملابسه، وتستقرُّ على مُؤخَّرته المُستديرة المُلتصقة بملابس خفيفة. بينما الرجل يتخيَّل بشكل محموم أنه يُضاجعه... والآخرون أخبروكِ بالباقي؛ اقترب منه "ألباتا" بوضوح، وعرض عليه حمايته ليأخذه تحت جناحه. حدث ذلك بالليل، امتطاه "ألباتا" كأنه يتسلَّق

شجرة، ولكنه صاح أيضًا كأنه مُخترق من قبل "رافاييل"، الذي تُهيمَن عليه قُوَّته، ومأخوذًا بجماله. رجلِكِ على وعي بقدرته جاذبيته. يتجوَّل وكأنه امتلك المكان. معظم الوقت ينام مع "ألباتا"، ولكنه أحيانًا يُضاجع زوجة حارس ما أو أحد المساجين. سمح "ألباتا" بذلك... لماذا صعب عليكِ أن تفهمي طبيعته؟

حتى الآن، مرَّ زمن المأساة وعدم التصديق. لقد ربَّب الزمن الألم ترتيبًا هرميًا. هل تعتقدين هذا كما تنظفين أسنانك البيضاء اللؤلؤية بالفُرْشاة، من أعلى إلى أسفل، ثم من أسفل إلى أعلى، مرَّةً ومرَّتَيْن وثلاث مرَّات في جانب، ثم في الجانب الآخر، في البداية السطح الخارجي، ثم الأجزاء التي لا تصل إليها الفُرْشاة إلا بصعوبة؟ كم مرَّة تُعامل غروركِ مع هذا، يا "ماجدالينا"؟ هل تُفكِّرين في ذلك؟ لقد وصلتِ في يوم مُلبَّد بالغيوم. أردتِ أن تُحضري المسؤولين. بالنسبة لكِ، كانت الصحافة نوعًا من الاستبداد الأخلاقي، الذي مارسته باتُّباع حواسِّكِ لقصص الصفحات الأولى. فجوع الاهتمام لا يشبع. كنتِ على استعداد أن تستخدمِي كل قوتكِ ونفوذكِ للحصول على سبق الصحفي. إنكِ عرفتِ نفسكِ جيِّدًا. هناك شيء ما مُنْفَر وجَدَّاب معًا حولكِ. أحيانًا مُسيء ومُثير للقلق إلى حدِّ ما. له علاقة بذكائكِ، الطريقة التي تنبشين بها عن المعلومات، الطريقة التي تسألين بها جميع الأسئلة الصحيحة. ما الذي كنتِ تطمحين إليه؟ مزيد من المجد؟ لا تكذبي يا "ماجدالينا". لم تكوني تبحثين عن الجوائز، فلديكِ منها الكثير. أردتِ شيئًا

أكبر من الإعجاب. قلبك البور اشتاق إلى العاطفة؛ أردتِ فقط أن تكوني محبوبة. ولكن مَنْ يمكنه أن يحبكِ يا "ماجدالينا". أحياناً لا تستطيعين أن تحملي نفسك على حب نفسك. لقد تناولت الشائعات أنك لا تحبين النساء الأخريات، ولكن هذا غير صحيح، فأنتِ ببساطة تحتقرين الجمال. لقد تعلمتِ آلية الدفاع في الطفولة؛ تُغطّين بالاحتقار كل شيء لا تُجيدينه. ولم تكوني مثالية، يا "ماجدالينا". كنتِ ببساطة قبيحة، وبشعة، وحتى مُفرّزة، وأدّى ذلك إلى عزلتكِ. قضيتِ ساعات تقضين على بدنك، وتقسين قلبك. إن وجهك العام، الحازم ورباط الجأش، يؤكد غطرستك.

لقد انفتحت لكِ أبواب "مويبا". هكذا هي القُدرة المطلقة للخوف. كنتِ مثابرة، ونجحتِ تقريباً في الحصول على كل ما تُريدين. تقريباً. اعتقدتِ أنكِ قادرة على تغيير مجرى الأحداث، كما فعلتِ ذلك من قبل. ولكن ليس هذه المرّة. وعلى الرغم من ذلك، سأعطيكِ حقّك، في مقدور أي شخص أن يُوجّه اتهاماً، ولكنك الوحيدة التي يمكنكِ أن تكتبي القصة. لم تكن الطوابير الطويلة في أيام الزيارات من الأقارب فحسب، بل أيضاً من السائحين الذين جاؤوا من كل أنحاء العالم لزيارة أشهر سجن للكوكابين. هذا هو السبق الصحفي!

لقد كذبتِ بشأن سبب زيارتكِ. دعينا نَقُلها من دون تكلف؛ لقد كنتِ غشّاشة. ولكن متى نالت الإجراءات اهتمامك؟ بعد ظهر أحد الأيام، قرّرتِ

أن تُقابلي "ألباتا"، وتكتبي قصّة تفجر أسطوره. لقد أعلنتها بنزق لموظفي صالة التحرير: "لو نزعت الإنجازات الرّمزيّة من الأبطال فسوف تصل إلى اللّحم". كانت خُطّتك أن تسيري حتى تُقابليه، ولكن استوقفك "رافاييل". وقع قدميك في الممر أوقفه من قيلولته، لكنه تظاهر بالنوم، مُتمدّدًا على أرجوحته الشبكية، سادًا أمامك الطّريق. أراهن أنك حدّقت فيه وتبّعت بطنه الصّلب بعينيك، وتخيّلت أن تُفكيّ سوستة بنطاله الذي كان نصف مفتوح بالفعل. إنها الحقيقة أنه عندما فتّح عينيه ليُفاجئك، نظرت لأسفل، وقلت:

- جنّت كي أتكلّم معه.

بلا شك يعرف إلى من تُشيرين، فأجاب بابتسامة:

- لماذا لا تتكلّمين معي؟ أستطيع أن أخبرك بكل ما تريدين.

- لستُ مهتمّة.

هكذا أجبّت، بينما قلبك قفز من مكانه، وعقلك أصابه الدُّوار. فلم تُقابلي من قبل رجلًا بهذه النوعية الذي - كي تزيد الطين بلّة - أعطاك اهتمامًا. تعرف النساء القبيحات أن الرجال لا ينظرون إليهن، ولا سيما الرجال مثل "رافاييل"؛ لأنّ العالم مهووس بالنسب المثالية؛ الجمال فوق العقل، والتألُّق فوق الجوهر. لقد درست هذه الحقائق من باب المعرفة.

من بداية العصور، من أرسطو، حتى نيتشه، الجمال مملكة التأمل والخير، بينما القُبْح مكان النفور والعُنف، وأسوأ من اللا مكان بكثير. تَمَيَّتُ بكل بساطة أن يكون القُبْح مضادَّ الجمال؛ تطابق متماثل. لكن الأمر كان أسوأ من ذلك؛ أظهر معظم الناس - وبالتالي معظم ردود الفعل الشاذَّة - الاشمئزاز، والكرهية، والرُّعب. ولهذا السبب رأيت "فرانكشتاين" مثلاً أخلاقياً للإنسان؛ الوحش الذي يفرُّ إلى موته. هزَّ الجمال الناس، وجعلهم أغبياء، لكنك لم تُجربِّي تأثيره، ولا جنونه، ولا عجزه. لو أن الحب من النظرة الأولى موجود، فلا بد أنه مُخدِّر مثل ذلك الشيء؛ السُّم. لم ترغبي في رؤيته مرَّة أخرى؛ لأنك شعرتِ بأنه في عروقك كالإدمان، وعرفتِ أنك لن تستطيعي تحرير نفسك. لذا، بالطبع، كنت تعودين كل يوم. وعلى الرغم من ذلك تظاهرتِ بأنك لا تعرفينه بسبب كينونته حينئذٍ، على الرغم أنكِ سخرتِ منه. كنتِ قاسية. لقد أحب "رافاييل" فُكاهتكِ السوداء، والظروف الغريبة التي جعلتكِ في مأمن من فتنته. انتظر مُتلهِّفاً لوصولك؛ لاحقكِ إلى السجن، وحاصر حياتكِ في الخارج، وأرسل لكِ هدايا صنعها بيده، واتَّصل بكِ على التليفون.

استمرتِ في المجيء يا "ماجدالينا"، ليس من أجل الصحيفة، وإنما من أجله. في البداية، لفنجان قهوة لمدة ساعة. ثم لفترة ما بعد الظهر. وبعد ذلك ليلة بأكملها. لم يكن الأمر بشأن "رافاييل"، بل بشأن ما شعرته هناك. في السجن تعلَّمتِ معنى آخر للجمال، معنى قرأتِ عنه،

ولكن سخرت منه باستمرار. شيء غير مادي وبريء، شيء كان عليك أن ترجعي له لأنه جلب لك الفرح والسلام. لقد تخيلت أن السجن يمثل العالم تمثيلاً فنياً، بمعنى القبح الذي قلّدتَه بمهارة، والذي اكتسب صدى جميلاً. كان وقتك هناك جميلاً فقط بهذا المعنى؛ لأنك أحسستِ بأنك تحررتِ، وأنتِ مُرحَّب بكِ، وليس بمعنى الإعجاب الظاهر، ليس كما لو أنكِ لؤلؤة بين الخنازير، ولكن لأنكِ جزء من كل. ضحككِ على نفسكِ، لأنكِ يمكنكِ أن تشعري بالزّعزعة في روحكِ بسبب النشوة والحساسية المؤلمة. رآكِ "ألباتا" من بُعد، وفهم كيف أنكِ تتناسين مع هذه الفوضى. هدّد "رافاييل"، وحدّره من الخطر، ولكن بلا جدوى. وبعد ذلك واجهكِ، دون أي جهد. رفضتِ أن تسمعي، وانتهيتِ أخيراً في السجن مع "رافاييل". انتقلتِ إلى السجن يا "ماجدالينا"، ودفعتِ لكي تقضي الليلة ويُطلق سراحكِ في الصباح.

لم تهتمي عندما تم رفدكِ من الصحيفة. عزمتِ على كتابة كتاب، أقسمتِ على ذلك، عمل فني حقيقي، ستلمسين به الشمس في ذروتها. لقد تلاعبتِ بالأحداث بسهولة كما لو أنكِ تغشّين في لعب الورق، أعطاكِ هذا شعوراً بالسلطة، حيث إنكِ كنتِ تشبتين نظريتكِ بأنه حتى القدر يخضع للاستئناف. كان "رافاييل" يقضي آخر أيام عقوبته، وعلى الرغم من أنكِ لم تُخطّطاً لذلك، حدث أنه جعلكِ حاملاً. رفضتِ أن تكوني نموذجاً للأمومة في سن صغيرة، ولكنكِ الآن تقبلتِ الأمر بسهولة، كأحد تحولاتكِ

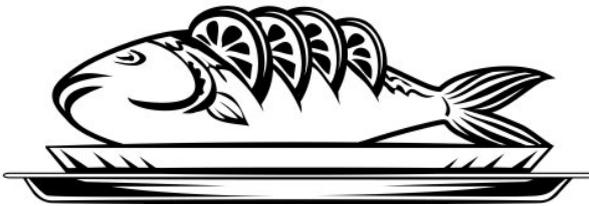
الوجودية. ولدت البنت وطلب "ألباتا"، مقابل ترك الأب والرضيع بمفردهما، أن تستمر زيارة "رافاييل" له. قضيا الليالي معاً على الرغم من رغبة "رافاييل" في أن يكون معكِ. كان يعود كل صباح كمنفي؛ كنتِ تحتفين بعودته إلى البيت كنوع من الانتقام، أو نصر شخصي لكِ. شعر "ألباتا" بأنه خُدع، ولكن لماذا لم يسعَ إلى الانتقام؟ بقتل ابنتكِ، سيعتقد أنه يمكنه أن يأخذ ما يُريد.

أوضح "رافاييل" هذه الحقائق بشكل مستمر، حتى إن السَّجَّان تدخَّل وأرسل عيَّنة DNA للخارج لتحليلها، ولكنهم استمعوا إليه أيضاً بسبب نفوذكِ يا "ماجدالينا". تحطَّمتِ بسبب موت ابنتكِ، فصرختِ من أجل العدالة يا "ماجدالينا"، وأنتِ ترين بناءكِ ينهار من حولكِ. كل ما كنتِ تريدينه هو أن تعودِي إلى السجن؛ لأنكِ كنتِ سعيدة هناك، لدرجة عدم الإدراك. أردتِ أن تعودِي إلى الملجأ، حيث كان كل شيء مِئْتًا حتى إن أشواكِ لم تظهر. ما الذي جعلكِ تعتقدين أنه من المستحيل تحقيق السعادة؟ لماذا تجرَّأتِ وتخيَّلتِ الحياة معه في الخارج؟ لماذا خُنتِ إيمانكِ، واستسلمتِ لهذيان الكمال؟ الآن أنتِ مهزومة بيقين أنكِ فقدتِ كل شيء. لم تتبقِّ لكِ قوَّة يا "ماجدالينا". إنكِ مُحاصرة بالحقائق غير الدقيقة، وقسوة حُكمكِ والغضب الأعمى الذي في قلبكِ. لقد أُصيب رجلُكِ بمرض الإغماء التخشبي، وهو بعيد جداً عنكِ. مُجرَّد أنه يرقد هناك. هل يولمكِ؟ هل توقَّفتِ عن حُبِّكِ؟ هل يُوبِّخكِ لشكوككِ؟ للمرَّة الأولى يا "ماجدالينا"

يصبح تأثير ما قاله الآخرون أقوى. لقد استيقظت. لقد نفذ حبر الصحافة غضباً وهي تنتظر نتائج تحليل الـDNA، النتائج المشؤومة التي وصلت صباح يوم الجمعة عندما وجدوا "رافاييل" ميئاً في زنزانتة. لقد صدقتِ نفسك بأن يدك نظيفة. أخفيتِ ما فعلتِ، جعلتِ نتائج المعمل تختفي؛ لأن رسالتك في الحياة دائماً نرجسية. ثم عدتِ كي تكتبي كتابك. ارتفعي عالياً كارتفاع الشمس واحتراقي.



الذَّوْقَة



هناك مكان كانت ستودُّ أن تذهب إليه؛ هو غرفة نوم في بيت جدِّها، غرفة زينَّها لها جدُّها خُصِيصًا، على الرغم من أن الأقمشة والألوان بدت في البداية أكبر من مرحلتها العُمرية. لقد حاكت الجدة اللحاف بنفسها، بالإضافة إلى الستائر ووسائد السرير، بحيث ستدوم مدى الحياة. من ثَمَّ، أَحَبَّت "إنيس" أغطية السرير المشكَّلة بمربعات؛ كل ذلك نشأ من هذا اللحاف المخملي الأول، ذي اللونين الأزرق والأبيض، بمربعات في جانب، وزهور في جانب آخر. بعد العشاء، تُعد الجدة لها السرير لكي تنام، تفرش اللحاف، ثم تتنَّيه ليظهر الجزء العلوي من الوسائد، ذات الأكياس المزخرفة. يوجد على الطاولة المجاورة للسرير، مصباح مُضاء، وإبريق ماء صغير، وكوب، وعلبة مناديل ورقية، وكتاب عادةً ما يكون من اختيارات الجدة. كانت هناك أيضًا رائحة اللافندر، التي تنبعث بلطف من أركان الحجرة بسبب وجود غصن يانع أو شمعة متروكة بجوار جدِّتها. في تلك الغرفة كانت الجدة تستطيع أن تُعالجها من أي شيء. عندما كانت

"إنيس" في سن الصبا، كانت الجدة تأخذها من يدها إلى الغرفة، وتضعها على السرير وتغطيها، وترفع الوسائد، وتسدل الستائر لتصبح الغرفة مُظلمة. في دفء الغرفة المغلقة، كانت الجدة تجلس بجانبها، ومُشَّط شعرها حتى تنام بعمق؛ لأن النوم، كما تقول جدَّتها، أفضل علاج، و"إنيس" تصدق ذلك، بالدم والروح. لذلك متى احتاجت "إنيس" إلى أي مساعدة، ترقد على السرير، أينما كان السرير؛ في بوينس آيريس، أو باريس، أو "أبيدجان".. تغلق عينيها وتحاول أن تستحضر رائحة لذيذة "إن لم يكن لافندر"، دعنا نُقل قرفة، ليتيح لها أن تتطهَّر من أي شيء لا يمكن لضوء النهار في أي بلد جديد أن يُعقِّمه. في فترة ما بعد الظهر في ذلك الصيف في الأمازون، ليس بعد آخر مرة تم ترحيل "مانويل" فيها، كان التوتُّر شديدًا، لذا أُلقت "إنيس" بوجهها في اللحاف المخملي. عندما استيقظت، بعد ساعات عديدة، أحسَّت بأنها مُفعمة بالحيوية، كأنها اندفعت بقوة البرق، وقالت:

- لا بد أن نُكوِّن صداقات.

بدا الأمر طفوليًّا، حتى إن "مانويل" بدأ في الضحك، لكنها أصرَّت

ككلب صغير يلهث:

- أريد أن أتحدث مع الناس الآخرين، أشعر بالوحدة.

أَحَسَّ بأنه إذا لم يوافق فستنقلب بهجتها الغريبة حالاً إلى دموع؛
لذلك شَجَّعها على دعوة بعض الناس. فسألت وقد لوت شفيتها بتشاؤم:
- ولكن مَنْ؟

فأجابها تلقائياً دون أن يُفكِّر:

- أصدقاء من المدرسة.

ظَلَّت "إنيس" تُفكِّر لفترة، وبدأت تُعدُّ الأطفال الذين جاؤوا إلى
منزلهم بين الحين والآخر، والآباء الذين قابلتهم عند الانصراف. في نهاية
المطاف، لم يكن من الصعب إنشاء قائمة بالأشخاص، ثم قائمة طعام.
ماذا يمكنها أن تفعل؟ بالتأكيد لا يجب أن يكون صنفاً يثير الشكوى
أو يصعب أن ينال رضا الناس؛ ينبغي أن يكون صنفاً عاملياً يتوافق مع
كل الأذواق. استدعت "إنيس" النساء، وحددت ميعاداً للأسبوع القادم،
وبدأت في الإعدادات. تدخل "مانويل":

- ماذا عن لحم الخنزير؟

(لأنه يحب لحم الخنزير). فقالت:

- ثقيل جداً.

فعرض عليها قائلاً:

- إداً فليكن سمكاً؟

قال ذلك مُجَرِّدٌ أن يقول شيئاً ما، فهو لا يحب السمك. واستقرت على أن السمك ممتاز.

ذهبت إلى السوق مُبَكِّراً في الصباح، واشترت حوت سمك وزنه عشرون رطلاً، وطهته في الفرن ببُطءٍ، بعد أن أغرقته بالليمون، والثوم والبقدونس، ولَفَّته في ورق ألومنيوم رقيق لكي يمتزج كل ذلك مع الزبد. لم تهتم "إنيس" بأن الجو كان عاصفاً منذ الفجر، وأنها أمطرت بغزارة بعد الظهر. إنها تعرف نفسها، تعرف أن أي اهتزاز في معنوياتها قد يجعلها تريد الموت، ولكن ليس قبل أن تقتل "مانويل". لذلك سوف تقدم، نعم، سوف تقدم السمكة الكبيرة مع البطاطا والفلفل الأخضر الرومي، المُتَبَّل بالليمون بغزارة. فكَرَّت فجأة، وقد لمعت الفكرة بحماس الإلهام:

- لماذا لا يكون هناك فاتح للشهية؟

رجعت فوراً إلى السوق.

سرعان ما خلطت المايونيز بالكرفس المفروم، والبقدونس، والفلفل المخلل، والمسطردة، وقليل من صلصة الفلفل الأحمر الحار "التوباسكو"،

وصلصة "وورسيسترشاير"، ثم غسلت لحم السلطعون وقطعته، وسقت أنصاف الأفوكادو بعصير الليمون. أخيراً، وضعت طبقة من الجرجير في كل طبق، وأضافت نصف أفوكادو محشواً بلحم السلطعون، وصبّت فوق كل ذلك ملعقة صلصة كبيرة. أما بخصوص الزينة، فقد وضعت شرائح طماطم وزيتوناً أسوداً. أخذ "مانويل" يشاهدها، وهو مُبهر من مهارتها المكتسبة في الطهو. وقال:

- كل شيء بالليمون!

نظر من النافذة، حيث المطر يهطل بغزارة أكثر من أي وقت مضى. استدارت "إنيس" متأهبة لمعركة، مشتعلة غضباً من تعليقه، لكنها وجدت نفسها أمام رجل مُنهك. أدركت أنها ليست وحدها التي تشعر بالاعتراب وعدم الاستقرار في هذه المدينة الجديدة الشيطانية. فقالت:

- دعنا نعد المائدة.

هذه مشاهد من حياتها تمّت لو أنها جمعتها في "كولاج" لتحتفظ بها للأبد، حتى لو كانت مشاهد غير مهمة لأن تُجمع؛ تضع هي و"مانويل" النباتات في الأصص، ويختاران أفضل الأماكن لوضعها في المنزل الجديد، أو يشرب كلاهما عصير البرتقال من الكوب نفسه، بينما ينظران في صور أوقاتهما التي كانت أكثر سعادة معاً. الآن هما يستعدان لإحضار الأطباق

إلى الطاولة، هو يُعْنِي مثل "تشارلز أزنافور"، وهي تتظاهر بأنها سعيدة. تتساءل "إنيس" إذا كان "مانويل" يبكي أيضاً، وإن كانت تفضل أن تصدق القول المأثور أن الرجال لا يبكون. كانت هذه هي طريقتها في موازنة الأمور. في الواقع... "مانويل" أحبها دائماً أكثر من حُبها له وحتى وقت قريب، لم يعد هذا عيباً.

نظر "مانويل" إلى الساعة، فقد دعا الضيوف في الساعة الثامنة، والساعة الآن تجاوزت التاسعة. تُسرِع "إنيس" من وإلى المطبخ تُحيطها سحابة من الثوم والزبد. لَفَّت حول الطاولة بتوتُّر، تضع شمعة هنا، وفوطة مائدة هناك، طلبت من "مانويل" أن يغيّر ملابسه بسُرعة، ولكن عليه أن يقطع الخبز أولاً. هناك رعد في الخارج. وقف "مانويل" وظهره إلى المطبخ، وضع يده على ساعته الرقمية لكي لا ينظر فيها مُجَدِّدًا. فَكَّر في أن يخرج قليلاً، حتى لا يُواجه "إنيس" التي بدأت تسأله عن الساعة. في بلدهم التأخير لنصف ساعة أمر مقبول، إنما ساعة تأخيراً فهذه علامة سيئة. إنه يتصبَّب عرقاً، حتى بعد أن أخذ دُشًّا، وبدأ يسمع الثواني تدقُّ بعنف في صدره. فهم ما ينتظره، عاصفة غضبها سترمي به على الصخر؛ وظيفته، عدم رغبته في إنجاب أطفال، سنواتهما في المنفى... ستبكي "إنيس"، وستمقته حتى يطلب منها المغفرة، التي تمنحه منها القليل كل يوم، تاركة علامات من السلام مُبعثرة في البيت. إنه يعرف الطقوس جيِّدًا، ولكنه شعر في هذه المرّة بأنه أشدّ إنهاكاً من متابعتها. إن لم يحضر أحد

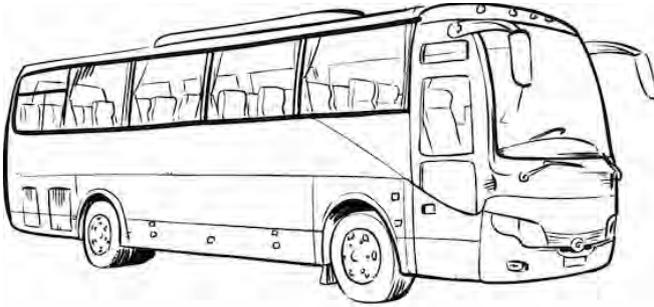
إلى الحفل، فستنهار "إنيس" أوَّلًا، وبعدها ستُغرقه بوابل من التويخ، يخنق "مانويل" مثل رائحة الفاكهة المتخمِّرة، المنتشرة على أرض هذه المدينة المكتنَّزة بالأشجار. مرَّةً أخرى، يومض البرق خارج النافذة. غيَّرت "إنيس" ملابسها أيضًا. غسلت وجهها، ووضعت لمسة من الرُّوج، عيناها صافيتان، أو كما يُفكِّر "مانويل" ربما كانت تبكي وهو يتبعها إلى المطبخ في صمت.

كانت الساعة تقريبًا العاشرة عندما رنَّ الجرس، اندهش "مانويل" ووقف بلا حراك بجانب الباب. ابتسمت "إنيس"، وأشارت له أن يفتح الباب. بدت الآن ودودة، مثل فتاة صغيرة ساذجة تحضر أوَّل حفل لها. وابتسم لها وهو مُتوجِّه لكي يفتح الباب. رحَّب بالضيوف الذين توافدوا جُملةً واحدةً، وتوجَّه بهم إلى غرفة المعيشة. لقد أحضر الضيوف معهم زجاجات نبيذ. شكرهم، لم يدرِ ماذا يقول بشأن الزجاجات؛ لأنه ليس لديه فكرة عن هذا أو ذلك. فالنبيذ يُسبَّب حموضة، وكرعًا لـ "مانويل"، ومذاقه مرُّ قليلًا بالنسبة له، يمكن أن يشرب قليلًا جدًّا في المناسبات. ففضَّل أن يتكلَّم عن الجو بدلًا من ذلك، عن سيول الأمطار، حتى جاءت زوجته فأنقذته. قدَّمت نفسها بشكل غير رسمي، وأضاءت الشمعة التي وضعتها على الطاولة الجانبية، وسرعان ما استحوذت على المُحادثة، تضحك على نفسها، على مهارتها المشكوك فيها في الطَّهو وعلى أدوات مطبخها الجديدة، وهي تحذرهم من النتيجة غير المُتوقَّعة من تجربتها في

الطبخ. دائماً ما يعجب "مانويل" في "إنيس" قُدرتها على ضمان تعاطف الآخرين عن طريق نزع أسلحتهم بضعفها، ونهجها غير المدوّن في الحياة؛ سمات جذّابة، لا شيء فيها بشكل أو بآخر. نظر إليها، وتنفّس بارتياح. لقد اجتازا الموقف، على الأقل هذه المرّة.



مُعْجِزَةٌ حَقِيقِيَّةٌ



راحت "كاتالينا" تلقي نظرة هنا وهناك في المنزل استعدادًا لرحلتها إلى الرِّيف. إنها مسرورة للغاية، لأن أباهما يسمح لها بالذهاب للمرة الأولى، على الرغم من أنها ستقضي أيامًا عديدة، وسيذهبون بالباص، وأن "أليخاندرًا" تضربها، كلها أسباب مُمكن "بابا" من قول لا. لم يحب "بابا" "أليخاندرًا". في الحقيقة، عندما لا تكون حاضرة، يشير إليها بقوله: " تلك العاهرة الصغيرة". على الجانب الآخر، ماما تحب "أليخاندرًا"؛ لأنها ابنة جارتها، التي كانت أيضًا صديقة طفولة لماما، والتي تناديهما "كاتالينا" بـ"الخالة"، على الرغم من أنها ليست خالتها الحقيقية. وبالطبع، بما أن كل رغبة لماما أصبحت مقدسة بعد موتها، سمح بابا لـ"كاتالينا" أن تذهب. كانت قد بدأت تُؤمن بالمعجزات. المعجزات المغمورة بالشفقة، التي لا تولد على يد قديس، ولكن بسبب وجهها اليتيم المضيء. عرفت "كاتالينا" - لأن أمها أوضحت لها ذلك مرّات عديدة - أنه لا يمكنك أن ترضي الجميع طوال الوقت، وينبغي ألا تغضب

من ذلك. وعرفت أيضًا أن الكبار عندما يدعون شخصًا ما بـ"الشقي" فمعناه أنه "لا يُطاق". وتساءلت بوازع ديني إذا كان الناس يعاملونها بلطف لا يزيفون ذلك لأنهم يخشون من ماما أن تراقبهم من السماء. فعلى سبيل المثال، ليس هناك طريقة أخرى لتفسير سلوك السيدة "إيزادورا"، التي كانت فظيعة كالحمامة السمينة، اعتادت أن تجعل "كاتالينا" تأكل سلطة الفول الأخضر، وهي تعلم أنها تكرهها، والآن أصبحت فجأة تسأل: "ماذا يمكنني أن أقدم للآنسة الصغيرة؟".

آه، لو بابا يعرف أن ما تحبه في "أليخاندر" ليس للعب معها. لقد أحببت شقة أسرتها، وتظاهرت بأنها جزء من هذه الأسرة. لا حاجة إلى إخبار بابا بذلك. سوف يشعر بالسوء حيال ذلك، علاوة على ذلك، وما كان ليتفهم ما الذي جعل "كاتالينا" تحب هذه الضوضاء، والفوضى، والطريقة التي يقاطع بها إخوة "أليخاندر" بعضهم بعضًا، ويخطفون الأشياء من بعضهم بعضًا. أحببت ضحكهم العالي، وبالأخص أنه لم يكن مدويًا. ففي منزل "كاتالينا" كل شيء له صدى صوت، وخاصة وقع قدمي بابا. إن "كاتالينا" تسمعها بمجرد أن يخرج من المصعد ويعبر الممر، ويفتح باب الشقة الثقيل المصفح. وهناك شيء ما آخر أحبته في شقة "أليخاندر"؛ لا توجد قضبان على الباب لأن لديهم كلبًا، كلبًا أسودً بناحه عالٍ. وضع بابا القضبان بسبب عمليات الخطف في الآونة الأخيرة، واللصوص الذين يقتحمون منزلك ويصوبون مُسدسًا على رأسك

ويأخذون كل شيء. إنهم يمكنهم أن يطلقوا عليك الرصاص ويقتلوا الكلب أيضًا... مسكين يا بابا.

ولكن "كاتالينا" لا تريد إلا أن تُفكّر في الرحلة فقط. لتتسى موضوع زجاجات الويسكي الفارغة التي وجدتتها مُخبّأة تحت وسائد الكرسي الفوتيّه. أرادت فقط أن تُفكّر فيما سيُغنيه في الباص؛ لأن "الخالة" لها صوت جميل، بالضبط مثل صوت ماما، وتُغني مع البنات بنغمات مختلفة كأنه كورال تؤديه امرأة واحدة. تحب "كاتالينا" أن تغني، ولكن ليس بقدر ما تحب الطبخ. إنها سعيدة لأنها أعدت شنطة ساندويتشات للطريق، كما اعتادت أن تفعل ماما، مع البيض المسلوق والمايونيز. قال بابا إن هذه الساندويتشات كافية لأن تؤكل في البيت؛ لأنه ليس هناك ما يبعث على الاشمئزاز أكثر من سلطة البيض والرائحة الكريهة التي تملأ الباص حينما تفتح الشنطة. غير أن "كاتالينا" لم تعبأ بكلامه، لأن عدم أخذ الساندويتشات خيانة لماما. أخيراً استسلم بابا، ودسّ البطّانية الفاخرة في شنطة الظهر مع شنطة مملوءة بالحلويات ورقائق البطاطس الشيبسي؛ لتشاركها مع الفتيات الأخريات، أملاً أن هذا يجعل ابنته تنسى الساندويتشات.

ضغطت "كاتالينا" على جرس الباب ثلاث مرّات مُتتالية. اضطر بابا أن يبعد يدها عن الرُّر. انفتح الباب، وصاح صوت:

- ادخل.

كاد قلب الفتاة يخرج من فمها عندما رأت كل حزم الأمتعة مُتناثرة في الصالة. نظرت الفتاة إلى سلال الطعام، والملابس الخارجة من الحقائق المغلقة بطريقة سيئة، والدمى المُعبأة في سُنَط التَّسْوُوق البلاستيك. هناك كثير من كل شيء، مُلقى بِشَتَّى الطُّرُق. قلق بابا من كيف أن كل هذا من المفترض أن يكون في الباص، وخشي أن يُؤخِّرهم هذا. لكن "الخالة" قالت: - لا تقلق، لدينا وقت كافٍ.

كان ذلك من عادات الخالة. ربما يغير بابا رأيه. لم يفهم بابا كيف أن الخالة يمكن أن تتأخَّر في كل شيء، مُمشِّط شعر بناتها في المصعد أيًا كان موجودًا بالصُدفة، أو كيف تدعو الناس للعشاء، ولا تبدأ الطَّهو إلا بعد وصول الضيوف. من ناحية أخرى، تَمَنَّت ماما لو أنها تشبه الخالة ولو قليلًا. اعتادت أن تقول: "هي أكثر حرية"، وكذلك راحت "كاتالينا" تراقب الخالة بحرص، وتحاول أن تُقلِّدها. كان بابا مُغتاضًا من شroud "كاتالينا" في الفترة الأخيرة. ومع ذلك، سارت على نهج الخالة بشغف، تترك "تُرمس" الماء في حَمَّامات المدرسة كل يوم. وهذا أغضب بابا. بطبيعة الحال، لو أن لدى "كاتالينا" ابنة، ما كانت ستتركها مُطلقًا في مقعد السيارة، وتغلق عليها السيارة في حرارة ما بعد الظهر. مثلما فعلت الخالة مع "أليخاندرًا" عندما كانت رضية. بابا على حق؛ لن تكون "كاتالينا" مُطلقًا بهذا الجنون. ما أَحَبَّته "كاتالينا" فعلاً هو أن الخالة

لديها دائماً شيء ممتع تشارك به، فكانت لذلك مُسليّة جدًّا، عكس "كاتالينا" التي لم يكن لديها أي شيء تقوله منذ ما حدث لماما. كما لو أن كسرة خبز انحشرت في زورها، فتورّمت، مثل مرض "القرنبيطية" الذي أدى إلى ورم ذات مرّة في أُذن "كاتالينا".

أخيراً، وصلوا إلى محطة الباص. لم تصدق "كاتالينا" أن يحدث ذلك، ولا بابا. وبينما هم ينتظرون الباص، كاد يغير رأيه ويأخذ ابنته ويرجع بها. فراح يُفكّر، هناك نساء كثيرات من دون رفيق. وابنته و"أليخاندرا"، أخت "أليخاندرا" الكبرى وأختها الصغرى، وخادمة عجوز، والخالة الجارة، والمفترض أنها المسؤولة مُحاطة بِشَنْطِ الطعام، والملابس، والدُمى. انقبضت معدة بابا. انحنى، نظر في عينيها، وأمسك بذقنها، وقال:

- أحسني السلوك.

أومأت "كاتالينا"، وألقت بذراعيها حول رقبتة في حزن عفوي. يا لبابا المسكين! لكنها كانت مسرورة جدًّا لأنها شقّت طريقها في الباص الأزرق، المُغطّى بالتراب والقاذورات. لاحظت "كاتالينا" أن طبقة الوسخ كثيفة، حتى إنها في بعض المناطق من الصعب أن ترى الدهان ولو استخدمت أظافرها. وحتى لما بدأت الرحلة في الطرق الوعرة، خلال السكك المُسفّلة بشكل سيئ في المدينة، والطرق الصخرية المؤدّية إلى مقصدهم، لم تتطاير طبقة التراب.

لكنها لم تلقِ بالألّ للطرق الوعرة، ولا النواذ التي لا تغلق تمامًا، كما لو أنها ترحب بهواء الجبال البارد، ثم برائحة الأشجار الاستوائية المتسلقة. ولم تهتم أيضًا بالغمام الذي تحوّل إلى اللون القرمزي، ثم الأسود، مُنذراً بأمطار غزيرة، إذ ذهب الصباح ونزل الباص من قَمّة الجبال. "كاتالينا" طفلة قوية الملاحظة. بين الحين والآخر، تشم رائحة بابا المميّزة، من تلك الزجاجات الصغيرة المُخبّأة خلف الكتب، لكن الرائحة تلاشت، أو نسيتهَا واستمرت في اللعب والضحك مع "أليخاندر"، بينما الركاب الآخرون بدؤوا يغفون، وبدأت الخالة في حل الكلمات المتقاطعة لليوم، في صحيفة نصف مطوية.

بينما أمها والخادمة لم ينظرا، وأخرجت "أليخاندر" رأسها من النافذة لكي تبلل يديها ووجهها بقطرات المياه الساقطة من أعالي الجبال لتصطدم بسطح الباص. أرادت "كاتالينا" أن تفعل الشيء نفسه، لكي تهدأ، وتتخلّص من لسعة العرق الذي جعلها تشعر بالدوخة. أخرجت يدها اليسرى أوّلًا، ثم رأسها، ولكن عندما أوشكت أن تخرج جذعها كله، وبختها "أليخاندر". لم تصدقها "كاتالينا". غمغمت: "عاهرة صغيرة"، خجلى ومغتاظة من توبيخ "أليخاندر" المزعج أمام كل الركاب. لم تكن لديها فرصة لتدافع عن نفسها، لتقول إن الفكرة لم تكن فكرتها وحدها، وإن "أليخاندر" فعلت الشيء نفسه، وإنهم إذا لم يصدقوها فليظنّوا إلى شعر "أليخاندر" المبلّل والمملتصق بجبينها... قالت ثانية: "عاهرة"،

ولكنها أدركت على الفور أن هذه الكلمة القبيحة التي ترنُّ بين أسنانها ممنوعة؛ لأن ماما تكره هذه الكلمة. تمَنَّت لو أن معجزة تأخذها إلى ماما. ربما سلم، لا يهم طوله. سوف تتسلَّق لتصل إليها. تذكر "كاتالينا" عندما سألت ماما من أين يأتي الأطفال فأجابتها:

- من السماء.

إجابة جعلت "كاتالينا" تُفكِّر:

- ولكنهم كيف يهبطون من السماء؟

لمَّت ماما شعرها خلف أذنها، وردَّت:

- بسُّلم، سُلِّم طويل إلى أسفل.

لم تملك "كاتالينا" الشجاعة لتخبر أمَّها أنها تعرف الحقيقة، أن

"أليخاندرًا" أخبرتها بكل شيء، بالتفصيل، منذ فترة طويلة:

- الأطفال يأتون من مُؤخَّرتِكِ، يا للسَّخف!

تعرف "كاتالينا" كيف تكبح رغبتها الملحة في البكاء بالقبض على

يديها بشدَّة. أسندت رأسها إلى النافذة، وأغلقت عينيها، وشعرت بهطول

المطر كأنه قرع طبول إفريقية. انهمر المطر للتَّوَّ بشدَّة وتخيَّلت رقصة

أكلي لحوم البشر، التي أكلت فيها مُقلتي عيني صديقتها، واحدة تلو

الأخرى.

بدأ الباص من الداخل يُصاب بالبلل، وعندما فتحت "كاتالينا" حقائب الساندويتشات، انتشرت في الباص رائحة البيض. ولما رأتها "أليخاندر" تأكل، قالت:

- أنتِ مُقَرَّزة، يا خنزيرة.

حدّقت فيها "كاتالينا"، ووزّعت ثلاثة ساندويتشات حولها. لم تقبل أخوات "أليخاندر" عرضها، بينما أخذت "أليخاندر" قزمة من ساندويتش في حين تحاول، بلا جدوى، أن تسد النافذة بكيس بلاستيك. غمرت أمواج من المياه الطريق الترابي، الذي قطعوه في عزّ الحرارة، في ضربات مُتتالية، بلّت الأرض أوّلًا، ثم غمرتها، وتركت رغاوى على السطح، وفي النهاية غرقت تجاويف الطريق، محولة طين الطريق إلى وحل لزج مميت. أصبحت "كاتالينا" مدركة بأن الطريق وعر ضيق، مثل ثعبان "باسيليسك" مُتحرّج محصور بين جبل على اليمين وجرف عالٍ على اليسار. تشم مرّة أخرى رائحة عرق الجسم، ورائحة البيض، بالإضافة إلى رائحة الزجاجات الصغيرة التي جمعها بابا على مرّ السنين. قالت:

- شيء ما تنن.

دون أن تجرؤ وتقول ما هو، معتقدة أن بابا ربما أراد أن يختفي مع محتويات الزجاجات الصغيرة. كلماتها حذرت الخالة. شاهدتها

منتظرة ماذا ستفعل أمُّها. بدأت الخالة في الصُّراخ، تحرَّض الركاب الآخرين على الكحول، صائحة بأن السائق سيقتلهم جميعًا، ولكن لم يتحرك أحد. بعضهم نام، والآخرون نظروا إليها في صمت. وقال صوت في آخر الأتوبيس ساخرًا منها:

- ليست هناك مشكلة، يا شمطاء.

استدارت خادمة الخالة إلى الرجل، وصاحت:

- اخرس يا أحمق!!

فقال الصوت الذي في الخلف:

- يا سائق، إذا كانوا سيسببون إزعاجًا، دعهم ينزلوا.

أخذت "كاتالينا" نفسًا عميقًا. علَّمتها ماما أن تفعل ذلك كي تهدأ في المواقف الصعبة.

وقف الباص، ورجع بالخلف ليُفسح الطريق لعربة نقل صاعدة الطريق الضيّق المتعرج. دفعت "كاتالينا" بنفسها بجانب النافذة. الباص قريب جدًا من حافة الجرف، قريب للغاية. يمكن أن ترى "كاتالينا" الوادي الأخضر تحتها. أخبرها بابا أن الموت لا يُؤلم. المرض يُؤلم، أما الموت فلا، لا تشعرين بأي شيء. وهذا سبب عدم قلقها على ماما، فالموت يُشبه

النوم. أسندت "كاتالينا" رأسها إلى الزجاج وفكّرت في ماما، لكنها في هذه المرّة منزعجة من صوت الموتور. تعلّقت العجلة الخلفية للباس في الهواء، ضغط السائق على بدّال السرعة بيأس، محاولًا أن يُعيده إلى الطريق. المطر مستمر، والباس يتأرجح، والبنات في صمت. أعينهنّ مفتوحة وقلقة، بينما الخالة الكئيبة اليائسة بدأت تُمزّق قصاصات من صحيفة الكلمات المتقاطعة وتكتب في كل قصاصة بخط كبير. جلست وأعطت كل فتاة قصاصة مطوية من الصحيفة. أخبرتهن ألا يفتحن القصاصة، ووضعت كل منهن قصاصتها في جيبتها دون كلمة، باستثناء "كاتالينا"، أخفتها بين رُكبتها، وظهر الشحوب على وجهها وهي تقرأ القصاصة: "إذا حدث أي شيء، فاعرفوا أن السائق كان مخمورًا". ضغطت "كاتالينا" على أسنانها بقوة، بينما انفتح فراغ في جوفها وقلبها، يا لبابا المسكين! أحسّت بهذه الكلمات في صدرها، وبدأت تدعو.



"ويزرينج"



ما زلتُ هذا الصباح أشعر بالغضب من جدّتي، على الرغم من أننا
تصالحنا شكلياً الليلة الماضية. لذا ظللتُ بعيداً عنها، كي أعاقبها، ولأجعلها
تُحسُّ بالذنب لأنها وجدّتي كما اعتادت أن تقول، لأثبت بالفعل أنها
غلطتها، وأنني بريئة. أكره الطريقة التي من المفترض أن أتصرّف بها
وكأنني مدينة لها، أن أبتسم، وأبتسم، وكأنما عليّ أن أتذكر دائماً أن أجعل
ظهري مشدوداً ومستقيماً، رغم أن تركه للانحناء والترهل أمر أكثر راحة
بكثير.

ولكي أتجنّبها، قرّرتُ أن آخذ حَمَامَ شمس في الحديقة؛ شيء تكرهه،
وأعرف السبب. أوّلاً، تكره اكتساي اللون الأسمر. والأمر لا يتعلّق
بلفحات الشمس بقدر ما يتعلّق بحقيقة انزعاجها من رؤية بشري
سمراء بشكل واضح. ثانياً، تكرهني في البكيني، فهو صغير جداً لا يكاد
يُخفي شيئاً، الأمر الذي لا يمكنها تجاهله حينما أستلقي على ظهري. تم
إنجاز المهمة، ولكن مُجرّد التأكيد أضيف شيئاً ثالثاً لا تُطيقه، وهو أن
أضع السّماعات في أذنيّ، لأؤنس نفسي بالموسيقى.

الشمس هنا مُتَعَطِّشَةٌ للدَّماء. إذا كانت إلهة، فإنها سادية، ترضي نفسها بشكل شادٍّ عن طريق تحميص جلود البشر. أستطيع أن أحسَّ بقوَّتها وهي تتغلغل في جسمي. في الوقت نفسه، تقص جَدَّتِي البراعم من شجر الورد، حتى النبات يتأثَّر بلفحة الشمس. إنها تنشط لفترة، ثم تتوقف لتسقط ظلَّها فوقِي تمامًا. ومع ذلك لا أتقلَّب، وأعلم أن جَدَّتِي هناك تحجب عنيَّ الشمس. بعد فترة، تنصرف دون أن تنطق بكلمة.

إن جَدَّتِي لا تُيسِّرُ الأمور لي، إنها لا تُشبه أُمِّي؛ بدلاً من أن تجهر بخطئي، تتحسَّس داخلي من بعيد. إنها طريقة أكثر إبداعاً... تُلقني على فوطتي نسخة من رواية "مُرتفعات ويزرينج"، وتنزع إحدى السَّماعات من أذني وتقول:

- "إيميلي برونتي" كانت عبقرية، يقولون إنها كانت تُعاني من انعدام الشهية، فدايماً تصوم.

إنها ضربة تحت الحزام، بعد ما حدث في الليلة الماضية، سألت:

- "ويزرينج"، بماذا تُدرك هذه الكلمة؟

- ليس لديَّ فكرة.

أجبتُ، وأنا لم أزل مُتضايقة، وإن تردّدت في ذهني كلمات، مثل
"ويزرينج"، انتحاب، هدير، دُوار، تألّم، يأس.

جلستُ على حافة الدكة في البرجولة، بالكاد مُظلمة بالتعريشة، قريبة
جدًّا من فوطتي، حيث يمكنني أن أستدير وأنظر إليها. تبدو عيناها من
هذه الزاوية مُتوهجتين. قالت، وكأن لم يحدث بيننا شيء:

- "ويزرينج"، كلمة قوية وحزينة، رياح قاسية، أمساوية مثل حياة
"إيميلي" نفسها.

سمحت لها بالتأثير على غضبي. نظرتها الصافية بمثابة مصيدة. أُحِبُّ
الكلمات جدًّا، فقد جمعناها معًا، وإن كانت اتّجاهاتنا مختلفة. فعندما
تحدّث عن الكُتّاب المثليين، مثلًا، تختار "فرلان"، وأنا أختار "رامبو"،
و"وايلد"، و"كابوتي". أحب الكُتّاب المثليين، وجَدّتي؟ إنها تحب "بودلير".
فقلت من دون تفكير:

- "ويزرينج"، مثل رياح صارخة، وعواصف.
تبتسم لي بعطف، فأردف وكلي شعور بالطموح:
- سيول، فيضان، قسوة، خراب.

تنظر إليّ برضا. أفكّر في شيء تحب أختي أن تقوله: "النساء مُقرّات جدًّا بالجميل"، وهذه حقيقة. بغضّ النظر عمّا نحصل عليه، فنحن نُقرُّ بالجميل... تعرف جدّي أنني لا أستطيع مقاومة اهتماماتها مهما كانت صغيرة. كثير من الناس لا يعلمون أن "مرتفعات ويزرينج" كتاب، وليس مُجرّد فيلم كلاسيكي. أنا لم أعرف، فلاطفنتني:

- كتبت "إيميلي" "مرتفعات ويزرينج" وهي في الثامنة والعشرين، ونشرتها باسم رجل "أليس بيل".

للحظة، فكّرت أن أبدأ في خطبة نسوية مُطوّلة كتلك التي أسمعها في البيت، ولكن مثل هذا الشيء يمكن مناقشته مع جدّي. لذا بدلًا من ذلك، سألت عن أوّل شيء طرأ على بالي:

- لماذا؟

فنظرت إليّ مباشرةً:

- لماذا ماذا؟ تقصدين لماذا كتبتها باسم مُستعار؟

فأومأت برأسي بتردّد:

- أعتقد لتتجنّب إيذاء أخيها.

وشرحت لي أن الأب "باتريك برونتي" كان قسيسًا إنجيليًا، غريب الأطوار، لديه ستة أطفال؛ خمس بنات، وولد. تحمل ابنه "برانويل" وطأة آمال الأسرة، ولم يستطع تحمّل الضغط. انتهى بأنه قضى حياته دون أن يترك أثرًا. طغت عليه موهبة أخواته، وأتلفه الأفيون والكحول، حتى مات أخيرًا بمرض السل. علّقت:

- إنه لأمر مُذهل! كم هي مؤلمة آمال مَنْ يحبوننا!

سررت بهذه الإشارة الخفية لموقفي الشخصي، لكنها لم تُجب، كان عتابها واضحًا.

عندما تنهزم في مُحادثة، تقنع بأن تتركها تتلاشى. الدراما تُزعجها (وهذا جزئيًا سبب إزعاجها لي). كسرتُ الصمت:

- قلتِ إن له خمس بنات؟

- "ماريا"، و"إليزابيث"، و"شارلوت"، و"إيميلي"، و"آنا".

توقفتُ قليلًا، وأغمضتُ عينيها قبل أن تمضي:

- لم يُولد أحد في هذه الأسرة محظوظًا. لقد أرسلت البنات الأربع

الأوليات إلى مدرسة داخلية، كانت "ماريا" في الحادية عشرة، و"إيميلي"

في السادسة فقط. وهناك ماتت "ماريا"، و"إليزابيث" بالسُّل، والجوع،
وبلا شك بالحُزن.

كررتُ:

- الحُزن.

الشمس تبعد الحُزن حرقًا، وتُوخزني في ساقِي وكتفي. هذه الليلة
سيجعلني الألم أصرخ، ولكن لا أبالي. أغمض عيني وأرکز على صوت
جَدَّتِي الدَّافئ والوقور.

- قتلتها مُدرِّسة! الأستاذة "آندروز". "آندروز"! لا تنسي أبدًا اسمًا

شريفًا.

تُعنفني، وأعدّها بأن أتذكّر. ولكي تُبرّر ضغينتها، تشرح بالتفصيل

التعذيب الذي تلقّته على يدها:

- هذه الـ"آندروز" أصبحت مهووسة بـ"ماريا"؛ تضربها، وتعاقبها،

حتى ولو كانت على فراش الموت.

أعيدُ تكرار كل هذا لكي لا أنسى اسمها. ما أريد أن أعرفه فعلاً ماذا

عن "شارلوت" و"إيميلي" اللتين في وجه الرِّيح. نهضتُ، أريد كوبًا من الماء

وقُبَّعة، أحضرتهما. أسألها، وأنا على يقين أنني لن أحب ما سأسمعه:

- لماذا كانت "إيميلي" تصوم؟

- لأنها، عكس البعض، لديها أسبابها للموت.

على الرغم من أن كلمات جَدَّتِي تُؤلمني، فإنها لا تبدو مُتعمَّدة، أم أن في عينيها وميض الرِّضا؟ قاومت رغبة الاعتراض؛ فما يهمني أن أعرف قصَّة "شارلوت" و"إيميلي"، فأسألها وكأني أسأل نفسي:

- كيف شَقَّتَا حياتهما؟

- بخلق عوالم خيالية معًا. هذه كانت لعبتهما المُفضَّلة. فاخترت "شارلوت" و"برانويل" عالم "أنجريا"، بينما اخترعت "إيميلي" و"آنا" عالم "جوندال". لقد ألفوا كتبهم الصغيرة عن هذه العوالم بحروف دقيقة. وحكت لي عن المُستنقعات؛ المناطق الصخرية، والمتوحشة، والمساحات الشاسعة من العُشب، حيث منزلهم الحجري الذي يحتمون فيه، لقد خلقوا لهم وجودًا بعيدًا عن فقرهم. تصفهم جَدَّتِي بأنهم كانوا يكتبون معًا في الليل بعدما ينتهون من قضاء أعمالهم، على ضوء الفانوس. فانوس، أعتقد أنها كلمة رائعة. قلت بصوت عالٍ، دون انتظار شيء:

- أحيانًا يتخلَّى الحُزن عن لونه الأزرق، بل يمكننا أن نتحمل قليلًا نفحاته الأقل حدة. كما لو أن الحُزن، ولو للحظة، يمكن أن يكون جميلًا. تستمع جَدَّتِي، وتبتسم لي مرَّةً أخرى، وتستمر في حكايتها:

- في أحد الأيام، اكتشفت "شارلوت" و"إيميلي" وأختهما الصغيرة "آنا" أن كل واحدة منهن كتبت رواية، وقررن أن ينشرن الروايات تحت أسماء مُستعارة؛ "كورر"، "إليس"، "آكتون بيل"، لقد اخترن أسماء رجال لإخفاء هويتهم. لم يخبرن أخاهن "برانويل" إطلاقًا، لقد كان بالفعل ضائعًا بينهن، حتى عندما حَقَّقت رواياتهن أحسن المبيعات.

فقاطعتها:

- كُنَّ يخدعنه، وهن يعرفن ذلك.

- لطالما اعتقدت أنهن يردن حمايته، وربما تكونين على حق.

كان هذا التنازل الصغير منها بمثابة انتصار لي.

- على أي حال، موت "برانويل" حطَّمهن تمامًا. فـ"إيميلي" التي كانت مصابة بفقدان الشهية لسنوات توقَّفت عن الطعام تمامًا، ورفضت الطبيب. وماتت بعد ثلاثة أشهر بالسُّل، وبعدها بخمسة أشهر ماتت "آنا".

- إذًا بقيت "شارلوت" وحيدة.

- ليس لوقت طويل، فقد ماتت قبل أن تبلغ التاسعة والثلاثين بشهر،

بعد أن نشرت روايتين أُخريين.

بدت عيناها أقل صفاءً، وأعمق، وأكثر غموضًا. أخبرتني بأنني يمكنني الاحتفاظ بالكتاب، لو أردت، فشكرتها. تصفحت الكتاب وطلبت مني أن أقرأ جزءًا من المقدمة؛ مقتطفًا من رسالة شهيرة. قرأتها بصوت عالٍ:

- "المحنة العظمى عندما ينتهي الغروب، ويدخل الليل، ففي هذا التوقيت اعتدنا أن نجتمع معًا في غرفة السفارة، كُنَّا نتحدَّث، والآن أجلس بمفردي، صامتة لا محالة".

سألتها:

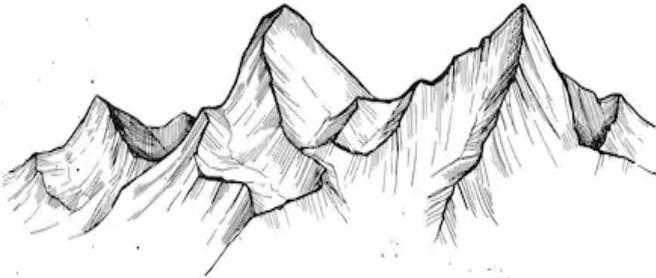
- هل هذه "شارلوت"؟

- نعم، إنها "شارلوت" وحدها في "ويزرينج".

تميل الشمس للغروب الآن، فلم تعد حارقة. تتركني جدِّي، ربما فترة ما بعد الظهر الذهبية، غير قادرة على الكلام.



التَّنَانِين النَّائِمَة



ضع هذا في اعتبارك في أحداث قصّتي؛ كُنْتُ فتاة صغيرة وحزينة، وشبه مُغتربة ذاهبة في رحلة. ليست للنزهة، ولكن للعمل، يمكنني أن آخذ حسابي نقدًا على الفور، بوصفي مُساعدة إنتاج لفيلم وثائقي. كان ذلك في يوليو 1992. في تلك الأيام، كُنْتُ مُلحدهً، أو بالأحرى "لا أدريّة"، وفي الواقع، أعترف بأن قلبي انفطر. ومن ثَمَّ، نظرًا إلى مرارتي، أرجو الاحتفاظ ببعض الشكوك، وأن تتمهّل تجاه كل شيء ستسمعه عن قصّتي.

ما زلتُ لا أعلم لماذا عيّوني، مع العلم بأنه ليس معي أي خبرة فنية. وبصراحة، لم أكن مُهتمةً بمجال الأفلام الوثائقية، ناهيك عن العرافة أو السحر الذي يبدو أن الآخرين مهووسون به. هديني الوحيد هو أن أختفي، ولو استطعت أن أدفع من أجل ذلك، لكان أفضل. قضينا أسبوعًا في سيارة 4×4، مسافرين أولًا من "لاباز" إلى "ثيوداد دي بيدرا"، ثم إلى "كيرفا"، قرية أطباء "كالاوايا".

غادرنا يوم الأحد. كُنَّا ثلاثة؛ المُخرج، والمُصوّر السينمائي، وأنا. كان معنا مُرشد اسمه "فيكتور". عندما أُخبرت بأننا مُسافرون مع مُرشد، تصوّرتُ على الفور فتى قصيرًا داكن البشرة، ولكن "فيكتور" كان وجهه به نَمَش، وودودًا، وشعره أحمر. كان ضخماً، وخرافياً، ولكنه يتصرّف كأنه من فريق عمل الفيلم، كان هذا هو الشيء الغريب. يتحدّث بلُغات عديدة دون أن يتظاهر، فمن لغة "الأيّمارا" إلى لغة "الكتشوا"، ومن الألمانية إلى الإنجليزية، متجاوزها إلى الإسبانية، ثم إلى "البوكوينا"، لغة أطباء الدّجل. انزعجت من مودّته، وإصراره على الحديث معي، على الرغم من أنه من دون السّيارة التي يُعزم بتدخينها.

انطلقنا في السادسة صباحًا، اقترح "فيكتور" أن نمرَّ على "كومانشي" لرى "بويا ريموندي"، نبتة "ملكة الأنديز". فقلْتُ:
- آه.

وأغمضت عينيّ من وهج الشمس. ومع ذلك، ما زلتُ أسمع صوت "فيكتور".

- يمكننا أن نرى أضخمها، والتي يبلغ عُمرها مائة سنة.
هكذا وعد المُخرج الذي سأله:
- هل فعلاً يبلغ طولها 13 قدمًا؟

- أووووه، إنها قد تبلغ 40 قدمًا، وتطرح حوالي 500 زهرة.
كان صوت "فيكتور" عاليًا يشوبه الارتياح والمبالغة. قُلْتُ في نفسي:
"أجل صحيح"، لكننا عندما وصلنا إلى هناك، لم يكن علينا حتى أن نتمشى
حول المنطقة؛ فعلى تَلَّ صخري غير مُنتظم تنبت شجرة "ملكة الأنديز"،
كأنها ناطحة سحاب. قدَّر زملائي طولها بثلاثين قدمًا، قال المُخرج:
- كأنها أناناس منذ ما قبل التاريخ.

التزمْتُ أنا الصمت. تناولنا الطعام، وأخذنا بعض الصور، ثم ذهبنا إلى
كنيسة "القديس أنطونيوس الكبير". تمت لفترة جيدة.
عندما استيقظتُ، كان "فيكتور" يقول إن الإله يوجد في هذه الأجزاء،
وإن "باتشماما" أم الأرض يمكن أن تُظهر علامات تُعتبر مُعجزات ما
زالت الجداريات تحتفظ بها. ذهبنا إلى القرية، وركنًا أمام الكنيسة،
ودخلنا. كانت الجداريات تمامًا مثلما يقال عنها. رمقتها بنظرة غير
ورعة سريعة؛ لأنني انتابني دُوار مُظلم، فأسرعت إلى الباب، بحثًا عن
النور، فتعَثَّرْتُ في الفناء. وهناك، من دكة إسمنتية دافئة بأشعة الشمس،
رأيت شجرة تفاح، شجرة وحيدة يكسو أوراقها الغبار، مُعلِّق بها فاكهة
حمراء. إذا كانت هذه علامة خارقة للطبيعة، كما يقول "فيكتور"،
فبالتأكيد ليست لي. تقيأتُ في الأصبص، واستندت إلى جذع الشجرة. أحضر

"فيكتور" لي بعض الماء، وذلك جيبني بقماشة مُبلّلة، وذلك عُنقي بحرية، كأننا صديقان، لم أكن في حالة مزاجية تُؤهلني لأقول شكرًا. صورنا، ثم رحلنا. بعد ظهر ذلك اليوم، توقّفنا في قرية "كاكويافيري". القرية هادئة، والشوارع مهجورة. كانت لدى "فيكتور" فكرة، فقال:

- يا لي من مغفل، دعونا نُجرّب حلبة المصارعة.

فأصبحتنا جميعًا هناك. الباصات الصغيرة كانت تنتظر بجوار الميدان. رقصوا عندما أخرجوا الثور. مُصارع الثيران يرتدي صندلاً، ويلوّح بوشاحه الصوفي الملوّن، ويُصارع الثور مُحاولًا الحصول على كيس النقود المُعلّق في رقبته. يصيح الجمهور. أخذ المُصوّر عددًا محدودًا للصور السينمائية بسرعة؛ لأننا اكتشفنا أن مزج الكحول بالديناميت قد يكون قابلاً للاشتعال بكل بساطة.

في تلك الليلة، على امتداد طريق وحيد، أعلن "فيكتور" أن هناك يرقد التّنين النائم؛ جبل مُحيرّ من الصعب أن تراه. القمر مُكتمل، أقسم أنني استطعت أن أراه، التّنين، يخلف خيالًا وراءه في السماء، مُتمدّدًا على الأرض. بالطبع كُنْتُ مُلتزمة الصمت. نجحت أخيرًا في أن أغفو، غارقة في حلم مضطرب ومُدّمّر وخارق للطبيعة. حتى وصلنا إلى "ثيوداد دي بيرا"، أخبرنا "فيكتور" أن لعنة "إينكا" حوّلت المدينة إلى حجر. حكايته

سخيفة. عُدنا إلى "لاباز". وبعد أيام عديدة، انطلقنا مرّةً أخرى إلى "كيرفا". رَحَّبَ بي "فيكتور" بحماس، وصافحني، وسألني:

- حلمتِ بالتَّيْنِ، أليس كذلك؟

هزنتُ رأسي، وأنا أشعر بالخجل. أراد المُخرج أن يسير مُباشرةً إلى محمية "أولا أولا" البيولوجية. تكلم "فيكتور" بلا انقطاع، وهو ينظر إليّ في مرآة الرؤية الخلفية. عيناه خضراوان. قال إن "توانا" قرب "تشارازاني"، التلّ الذي أخفى مدينة "ألدورادو". أخبرنا أنه ذات مرّة في "كيرفا"، في مهرجان، سكر فلاح من قرية "أماريت" سُكراً عميقاً حتى أخذ في الرقص وإلقاء أصابع الديناميت في الهواء حتى تمزّقت ذراعه إلى أشلاء. وأردف "فيكتور" أن أطباء "كالاوايا" ضمّدوا الذراع بقماشة مليئة بالأعشاب، وقال:

- بعد سنوات عديدة، قابلته وقد التأمّت ذراعه تماماً.

كانت محمية "أولا أولا" منطقة لحماية حيوان "الفيكونيا"، فقال

المُصوّر السينمائي:

- إنها مُلائمة للتصوير.

تناولنا في الغداء حيوان "الفيكونيا". أخبرونا في المعسكر:

- هذا الحيوان ابتلع صخرة حتى مات خنقًا.

في اليوم التالي، أكلنا "الفيسكاتشا"، حيث علقت رأس ذلك الحيوان القارض، مثله مثل قارض "الشنشيلة" طويل الأذن، يتدلى من النافذة. فقال المصوّر مازحًا:

- أليس شكله جميلًا؟

وقد لاحظ أنني أكاد لا ألمس الطعام. جلس "فيكتور" بجوارى، وخفية، دفع قطع اللحم بعيدًا عن طريقي. قرّرنا أن نجلس في الخارج تحت أشعة الشمس. سارت السيارة 4×4 بسهولة، وما إن قطعنا حوالي 300 قدم على الطريق حتى توقّف الموتور. فأرجع المخرج السيارة إلى الخلف، حتى وصلنا إلى منعطف فاشتغل الموتور مرّة ثانية. قال "فيكتور" لكي تصل إلى "كيرفا" يجب أن تؤمن، لا يمكن أن تصل إلى هناك ما لم تكن مؤمنًا. اشتغل الموتور، وما إن قطعنا 300 متر حتى توقّف، وهكذا مرّات عديدة. غيّرنا القيادة. فمرّة أعطى المخرج عجلة القيادة لـ"فيكتور"، ومرّة للمصوّر، ولكن لم نتحرّك أكثر ممّا تحرّكناه من قبل. فتحوا غطاء السيارة ليُفتّشوا عن العطل، على الرغم من أنه من الواضح أنه ليس هناك عطل ميكانيكي. وقفت على جانب الطريق، يداي في جيوبي، للمرّة الأولى منذ أن بدأنا الرحلة، دون مقاومة. جاء "فيكتور" خلفي مباشرة، وقال:

- "كالوايا" تُعالج من أي شيء، هل تعرفين ذلك؟
وكان همسه في رقبتى، وأنفاسه تخترق جسدي، من قمّة رأسي حتى
أخمص قدمي. قال:

- يمكن أن أذهب معك لنكتشف ذلك.

وتوقّف بطريقة وتّرّنتي. وأردف:

- ولكنك ستوشكين أن تقولي أرجوك.

حاول المُخرج أن يُجربّ الذهاب إلى "كيرفا" مرّة أخرى، قبل الدوران
والعودة إلى المدينة. قال "فيكتور" إنه سيقود، أجلسوني في المقعد
الخلفي. هذه المرّة كانت عيناى فى مرآة الرؤىة الخلفية، بينما اشتغل
الموتور، وسرنا بحيث اختفت آثارنا على الطريق خلفنا.



ساعة يد، كُرة قدم، فنجان قهوة



تعلّم في سن السادسة أن يُحدّد الساعة، ويحسب بالخمسات:
خمسة، عشرة، خمس عشرة، عشرون، وهكذا حتى السّتين. كان دائماً
يسأل: "هل حان الوقت بعد؟" بكثرة حتى أعطاه جدّه ساعة يد كي
يُريحه. منحتّه تلك اللحظة الحاسمة وعياً كئيباً بمرور الوقت.

- إنها كبيرة عليك.

- ليس لهذه الدرجة يا جدي.

وضع الجدُّ إصبعين بين حزام الساعة ومعصم الطفل الرقيق، وابتسم:

- أعطني إيّاها، سنخرم حُرّمين في حزام الساعة.

جعل الصّبيّ الساعة تنزلق من معصمه حتى وصلت إلى ساعده

تماماً، مثل سوار كابتن كرة القدم.

- أعطني إيّاها.

فأعطاها الصَّبِيَّ له. مع صوت صفير الكُحَّة الشديدة، استدار نحو الحائط الفاصل بينهما والغرفة المجاورة. نادى:

- ماما؟

وراح يدعو من أجل ارتياح مُؤَقَّت على الأقل من اللُّهات الذي بدا كأنه اختناق. وضع الجد يده على رُكبته.

- هل تعلم أن الطيَّارين في المرَّة الأولى ارتدوا ساعاتهم مثلك تمامًا؟
لقد استخدموا رباطاً ليربطوا به ساعة الجيب بأرجلهم أو أيديهم.
هزَّ الصَّبِيُّ رأسه.

- في تلك الأيام، لم يكن في الطائرات أدوات، فلم توجد هناك ساعة يد، لذا صنعوا أدواتهم الخاصَّة. ما رأيك في هذا؟
- مُخيف.

قالها الطفل وقد اتَّسعت عيناه، مُتَعَطِّشًا لسماع المزيد، مُحاولًا أن ينسى الكُحَّة. فقال الجد وفي صوته سيطرة دافئة:
- كانوا شجعانًا. لا تقلق، كل شيء على ما يُرام.
- هل يمكنني أن ألبسها في المدرسة؟

- نعم.

- جدي!

- همممم؟

كان الرجل العجوز يخرم حزام الساعة بسكين.

- أريد أن ألعب حارس مرمى.

- ولكنني اعتقدت أنك تريد أن تكون مهاجمًا.

ورفع عينيه من على جلدة الساعة، وأردف:

- هل ذلك بسبب رجلك؟

فنظر الطفل إلى السقف:

- لا، نعم، حسنًا... بسبب العرج الذي في رجلي يا جدي، إنهم

يضحكون عليّ.

- وماذا في ذلك؟ كان "جارينشيا" العظيم مُصابًا بشلل الأطفال مثلك.

بل وكان مُصابًا بما هو أكثر من العرج، بالتواء الساقين، والتواء العمود

الفقري، وفوق كل ذلك كان قبيحًا.

وضحك الرجل العجوز بصوتٍ عالٍ.

- لكن يا جدي أنا لستُ "جارينشيا"، ولا أَلعبُ في نادي "بوتافوجو".

- تُريدُ الأهدافُ أم لا؟

- نعم.

- عظيم، إذًا اتَّفَقنا. هذا هو الشيء الوحيد الذي يهيمُ، وإذا ضحك

عليك أي شخص، أوسعُه ضربًا. فهل تدرَّبنا على كل هذا للشيء، أم أنك

خائفٌ جدًّا؟

- لا يا جدي!

- هذا هو ولدي!

أعطاه الطفل ابتسامة خجولة حزينة. في الغرفة المجاورة، نوبة أخرى

من السُّعال جعلت سوستة السرير تئنُّ. ظل الاثنان صامتين، وبلا حراك

للحظة، حتى ساد الهدوء مرَّةً أخرى. وقال الصَّبِيُّ بهدوء:

- جدي، ألم يحنِ الوقتُ بعد؟

فردَّ الرجل العجوز، دون أن ينظر في الساعة:

- ليس بعد.

تناول الصَّبِيُّ الفَنجانَ النحاسيَّ من على المنضدة الخشب، وأخذ رشفة من القهوة. لقد علَّمَ الرجل العجوز الصَّبِيَّ كيف يشرب القهوة منذ الصُّعُر.

- هل سبق لك أن سافرت بالطائرة؟

- لا.

- وهل ستفعلها؟

- لا أدري، ربما.

- هل سأفعلها أنا؟

- أنا متأكد أنك ستفعلها.

- هل تحب الطيران؟

- لا أعرف.

ردَّ وهو يُثبِّت الساعة في معصمه، وأردف:

- هيَّا، دعني أُغلق إبزيمها.

- جدي؟

- ماذا؟

- لا تذهب.

- دعنا ألا نبدأ ذلك مرّة ثانيةً.

- لماذا لا أستطيع أن أذهب معك في الشّاحنة؟ أعدك بأنني سأعتني

بماما، ولن أتسكّع بكرة القدم.

فقال الرجل العجوز، وهو يلثمُ الشعر الناعم الساقط على عيني

الصَّبِيِّ:

- هكذا أفضل.

- أريدك ألا تذهب.

- لا تبك، أنت رجل الآن.

وكان صوته صارمًا ولطيفًا.

- غير صحيح، أنا في السادسة فقط.

أخرج الجد منديلًا أبيض ومسح أنف الصَّبِيِّ.

- لماذا لا أذهب معك إلى المنجم؟ ماما أيضًا يمكنها أن تذهب.

- المنجم ليس مكانًا مناسبًا لامرأة مريضة.

ودسَّ رُزمة من الأوراق المالية المطوية في جيب الشورت.

- خذها معك، حتى أعود.

- ماذا لو أنها...

- ستكون بخير، إنها قوية، أنت تعرف جيّدًا كيف تجعلها تضحك.

وراح الرجل العجوز يشرب القهوة من الفنجان النحاسي. بدأت

الغرفة تدخل في الظلام عندما بدأ ما بعد الظهر في الزوال، ظلام وبرد.

- جدي.. هل أنت خائف؟

وقد بدت عينا الرجل في غاية الاحمرار.

- لا.

استمرّ في شرب القهوة. فقال الصَّبِيُّ بصوتٍ مُرتعشٍ:

- ولكنني خائف، لا أريد أن أبقى وحدي.

- لن تكون.

فقال بصوتٍ مُنكسرٍ:

- أنت كبير... ولكن لو أنك...

- هُششش، سأكون بخير، أعدك...

رفع الصَّبِيُّ رأسه ونظر إليه، بجدِّية. فهو يعرف أن لا أحد يعد بأنه لن يموت.

- هل ستعود بسرعة؟

- لقد أعطيتك كلمتي.

وبدت عيناه زرقاوين كالسَّماء بعد تساقط الجليد.

- سوف أعود بسرعة، وسأحضر لك كُرَّة قدم من جلد متين، فهذه

بدأت تتلف تمامًا.

وقف الجد، وأضاء النور، ودخل إلى الغرفة الأخرى، نظر الصَّبِيُّ إلى

ساعته. بعد فترة خرج الرجل العجوز مُرتديًا معطفه، وقُبَّعته في يده.

سار الاثنان معًا إلى الخارج حيث الشارع.

- هل ستستمر في تصويب الكُرَّة لتسجيل الأهداف؟

ردَّ الصَّبِيُّ قبل أن يكمل الرجل العجوز كلامه:

- نعم، مثل "جارينشيا".

- عظيم.

أخذه تحت ذراعه. بدأ الرجل العجوز في تشغيل سيارة "فولفو" موديل 1933 خضراء، تم الحفاظ عليها بشكل جيّد على أيديهما. جرى الصَّبُّ نحو الساحة وهو يركل الكُرة. بدأ في البداية بتسديد ضربات خفيفة بتأنٍّ، ثم سدّد بكل قوَّته. أنفاسه عبارة عن سحبات بيضاء في الجو البارد.



الفهرس

7	اعترافاتٌ مُوجَّلةٌ
	قصصٌ قصيرةٌ لـ"ماجىلا بودوون"
9	شئٌ للعشاء
35	سوناتا للصيف فى بوونس آىرس
57	الحب من النظرة الأولى
65	تركيب الملح
75	الشريط الأحمر
91	الفتاة
113	حمقاء تقف فى الحب
127	ليلة الافتتاح
143	حلم بعيد
153	"موبىا"
167	الدَّوَّاقَة
177	معجزة حقيقية
191	"ويزرنيج"
203	التنانين النائمة
213	ساعة يد، كُرَّة قدم، فنجان قهوة

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

1. اسمي نور إلسا أوسوريو الأرجنتين
2. كلي لك كلاوديا بينيرو الأرجنتين
3. أرامل الخميس كلاوديا بينيرو الأرجنتين
4. جريمة في بوينس آيرس كلاوديا بينيرو الأرجنتين
5. نقطة الصفر ناريج ماليان أرمينيا
6. مشروع روزي جرايم سيمسيون أستراليا
7. علاقات دولية إلييت إليكا ألبانيا
8. قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية إنجو شولتزة ألمانيا
9. لأننا في مكان آخر رشا الخياط ألمانيا
10. حب كالأفلام فيكتوريا فان تيم أمريكا
11. أفلام في قصص مجموعة مؤلفين أمريكا
12. الثلاثة سارة لوتز إنجلترا
13. اليوم الرابع سارة لوتز إنجلترا
14. الموت والبطريق أندريه كيركوف أوكرانيا
15. تاتي كريستن دوير هيكي أيرلندا
16. جريمة الساحر أرني ثورارينسون أيسلندا
17. شركة الحب المحدودة أندريه سنار ماجنسون أيسلندا
18. الحب لم يعد مناسبًا ميلا فينتوريني إيطاليا
19. حذارٍ من جوعي لوتشانا كاستيلينا إيطاليا
20. سارق الجثث باتريسيا ميلو البرازيل
21. امرأة في حقيبة رافاييل مونتينز البرازيل
22. بيتنا في إزمير تاتيانا سالم ليفي البرازيل
23. كابوس ساو باولو أنطونيو شيرشينسكي البرازيل
24. مقبرة البيانو جوزيه لويس بايشوتو البرتغال
25. نيزك في جالفایش جوزيه لويس بايشوتو البرتغال
26. الأثر المقدس إيسا دي كيروش البرتغال
27. الأشياء الماضية برونو فييرا البرتغال
28. أن تأتي متأخرًا ديميتري فيرهولست بلجيكا
29. صانع الملائكة شتيفان بريجش بلجيكا
30. مخاوفي السبعة سلافيدين أفيدتش البوسنة

31.	جامع الكتب	جوستابو فابريون باترياو	بيرو
32.	أبسننت	أيفر تونش	تركييا
33.	أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركييا
34.	ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركييا
35.	امراة صديقي	تونا كيرميتشي	تركييا
36.	توباز	هاكان جنيد	تركييا
37.	ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركييا
38.	جرمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركييا
39.	جرمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركييا
40.	خطايا الأبرياء	برهان سوميز	تركييا
41.	ديستينا	ماين كيركانات	تركييا
42.	الشيطان امراة	هاندي ألتايي	تركييا
43.	الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركييا
44.	لون الغواية	هاندي ألتايي	تركييا
45.	مينتا	سولماز كاموران	تركييا
46.	نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركييا
47.	سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركييا
48.	المزيد	هاكان جنيد	تركييا
49.	الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيچوز	تركييا
50.	المدينة ذات العباءة القرمزية	أصيلي إردوغان	تركييا
51.	جرائم براج	ميلوس أوربان	التشيك
52.	معسكرات الشيطان	يواقيم توبول	التشيك
53.	حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
54.	حُفِظت القضية	باتريك أورشاندك	التشيك
55.	ديتوكس	سوزانا بربانسوفا	التشيك
56.	سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
57.	كافكا	فرانز كافكا	التشيك
58.	المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
59.	احذري يا أنا	ماريك سينديلكا	التشيك
60.	المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
61.	العقل المدبر	دافيد أوجتر	جواتيمالا
62.	بال خال	أولجا سلافينكوفا	روسيا
63.	رسائل سبتمبر	بيروني رحيم	زيمبابوي

سلوفاكيا	أورشولا كوفاليك	64. امرأة للبيع
سلوفاكيا	مجموعة قصصية	65. خلف طاحونة الجبل
سلوفينيا	جوراي فوينوفيتش	66. يوغوسلافيا.. أرض أبي
سويسرا	ميرال قريشي	67. الحياة هنا
سويسرا	يونا لوشر	68. ربيع البربر
سويسرا	يونا لوشر	69. كرافت
الصين	شيو تسي تشين	70. بكين.. بكين
الصين	يي ماي	71. بنات الصين
الصين	تشيه زيه جيان	72. الربيع الأخير من القمر
الصين	جوو دا شين	73. رحلة الانتقام
الصين	يي ماي	74. سبع ليالٍ في حدائق الورد
الصين	يركسي هولمانبيك	75. النجمة الحمراء
الصين	جين رن شون	76. رقصة الكاهنة
الصرب	فلاديمير بيستالو	77. الألفية في بلجراد
فرنسا	إريك نويوف	78. المغفلون
فرنسا	صوفي إيناف	79. جريمة في باريس
فرنسا	ماهير جوفين	80. الأخ الأكبر
فنلندا	آكي أوليكائين	81. المجاعة البيضاء
فنلندا	صوفي أوكسانين	82. التطهير
فنزويلا	ميجيلا بودوين	83. اعترافات مؤجلة
كولومبيا	إيكتور آباد	84. النسيان
كولومبيا	سانتياجو جامبوا	85. أين أنت؟
كندا	أليس كويرز	86. حياة على باب الثلجة
مقدونيا	إيرميس لافازوناوفسكي	87. صانع الزجاج
مقدونيا	بلايز ماينفسكي	88. القنّاص
مقدونيا	توميسلاف عثمانلي	89. الواحد والعشرون
مقدونيا	أليكساندر بروبوكيف	90. القزم
المكسيك	خيسوس ريكاردو فيلكس	91. د. مينجوس.. الأخ الأكبر
النرويج	إنجفار أمبيورنسون	92. إلينج
النرويج	روي ياكوبسن	93. صيف بارد جدًّا
النمسا	ميلينا ميشيكو فلاشر	94. سميته كرافتة
النمسا	فريدريكا جيزفاينر	95. حرية حزينة
النمسا	أهلوت تينا شميت	96. ف.و.م.و

الهند	روبا باجوا	97. دگان الساري
هولندا	تومي فيرينيجا	98. جوي سييدبوت
هولندا	هيرمان كوخ	99. العشاء
هولندا	هيرمان كوخ	100. المنزل الصيفي
هولندا	تومي فيرينيجا	101. تلك الأسماء
كرواتيا	ماريا تاسلر	102. عقيدة الأغنياء
ويلز	لويد ميركام	103. أفكار سيئة
ويلز	جاري ريموند	104. أيتام ذهبيون

صدر من كتب عامة:

ألمانيا	جيرالد هوتز	105. الرجل والمرأة أيهما الأضعف؟
ألمانيا	هوبرتس هوفمان	106. قانون التسامح
ألمانيا	فولفجانج باور	107. هاربون من الموت
ألمانيا	فولفجانج باور	108. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام
ألمانيا	كريستوف بيترز	109. الشاي: ثقافات وطقوس وحكايات
أمريكا	روبرت ماكنمارا	110. الهاشميون وحلم العرب
أيسلندا	جون جنار	111. الهندي الأحمر الأيسلندي
أيسلندا	جون جنار	112. القرصان الأيسلندي
الصين	مايكل ديلون	113. مختصر تاريخ الصين
إسبانيا	خورخي كاريون	114. زيارة لمكتبات العام: تاريخ مكتبات بيع الكتب
إيطاليا	جوفانا لوكاتيلي	115. يوميات صحفية إيطالية
إيطاليا	ستيفانو مانكوسو	116. الذكاء الأخضر
البرتغال	إيسا دي كروش	117. خيالات الشرق
بلجيكا	دافيد فان ريبوك	118. ضد الانتخابات: دفاعاً عن الديمقراطية
التشيك	باتريك أورشادنيك	119. أوروبيانا
التشيك	فاتسلاف هافل	120. قوة المستضعفين
فرنسا	جي. إم. لو كلوزيو	121. النشوة المادية
فرنسا	أنطوان لاريس	122. لن أمنحك كراهيتي
كولومبيا	أوسكار بانتوخا	123. جاو

النرويج	ثور جوتاس	124. الجري
هولندا	دوي درايسما	125. عقول مريضة
هولندا	يوريس لوندريك	126. اللعب مع الكبار

يصدر قريباً: من سلسلة كتب مختلفة:

أمريكا	جيفري لويس	127. بيلبورت: قصة مدينة
ألمانيا	كريستوف بيترز	128. سيلفي مع الشيخ
إيران	بهرز بوجاني	129. لا صديق سوى الجبال
الأرجنتين	كلوديا بينيرو	130. شرح في الحائط
البرازيل	آنا ماريا ماتشادو	131. شمس الحرية
تركيا	أسهان أيكول	132. طلاق على الطريقة التركية
سويسرا	لونا الموصلي	133. جدتي وبريتني سبيرز
المجر	أندريس فورجاش	134. لم يبق أحد
المكسيك	أجيولار كامين	135. يوم هنا ويوم هناك
مقدونيا	ديان ترايكوسكي	136. روميو جوليت في البلقان
نيجيريا	أوينكان برايزوايت	137. أختي فاتلة متسلسلة
هولندا	إليا ليونارد	138. لا سويبريا



في هذه المجموعة القصصية فانتازيا مختلفة، بين فتى يحاول أن يتحدى أمه وألا يكون صادقًا معها، وبين فتاة تسافر إلى بوينس آيرس لتشفى من معاناتها النفسية والجسدية بالكتابة، وعن شعور الخزي الذي يلي الحب من النظرة الأولى، ورجل يعالج دموعه وحزنه الأبدي بـ"حمام الملح"، والفتاة التي ماتت وقت تنصيبها ملكة جمال، والفتاة ذات صداع مزمن من نوع نادر، والزمن الذي يغير مصير عاملة فندق ويجعلها تتنازل عن هويتها وتضطر أن تفقد حب عمرها في موطنها الأصلي، ورجل يذهب إلى ليلة الافتتاح على أمل أن تتغير حياته، وفتاة حبيسة حجرتها أملة في الخروج إلى العالم المفتوح، وقرب العلاقات ومثانتها حول موائد الطعام، وكرة القدم التي تجمع الجد بحفيده، وغيرها من القصص المثيرة .

من خلال المشاهدة الدقيقة لهذه الحكايات التي تعد أول مجموعة قصصية لنا من بوليفيا، تجد تشابهات كثيرة بيننا وبين ما يحدث في هذه القصص. وعلى الرغم من غرابتها، لكنها سهلة ومفهومة تتركك بمشاعر وأفكار كثيرة حول ذاتك، فكل قصة تمس كل منا بشكل مختلف بما يتناسب مع أفكاره وتجعل كل منا يفكر في بساطة القصة وعمق المعنى. إننا نصل إلى آخر صفحة من كل قصة من قصص "بودوين" لنسال أنفسنا: ما القصة وراء هذه القصة؟

ماجیلا بودوین

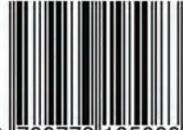


كاتبة، وصحفية، ومدرسة في الجامعة البوليفية. وُلدت في كاراكاس بفنزويلا عام 1973، وتقيم في "سانتا كروز دي لا سييرا" ببوليفيا منذ 2005. تدرّس دبلومة الكتابة الإبداعية في جامعة سانتا كروز الخاصة. صدر لها كتاب تحت عنوان "نساء من كوستادو" في عام 2010. نُشرت هذه المجموعة القصصية بعنوان "تكوين الملح" في عام 2014 وفازت بجائزة "جابريل جارسيا ماركيز لمنطقة أمريكا اللاتينية" لعام 2015. وفازت روايتها الأولى، "صوت الهـ"، بالجائزة الوطنية للرواية في عام 2014 .

عمق خيال
اعترفت حزن معاناة
تفكير ذاتي
فانتازيا



www.alarabipublishing.com.eg



9 789773 195083 >



60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة

ت: 27947566 - فاكس: 27921943 - 27954529

www.alarabipublishing.com.eg